



أقدم لك ... عصر التنوير

تأليف
ليود سبنسر
أندرزيجي كروز

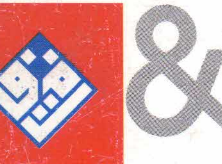
ترجمة
إمام عبد الفتاح إمام





Introducing...
The





&

Llyd Spencer
Andrzej Kraze



يتناول هذا الكتاب بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرت على الإنسان فى العصر الحديث ، وأعنى به "عصر التنوير" فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين، ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن "الثورة المجيدة" فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدءون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.



المشروع القومى للترجمة

أقدم لك ..

عصر التنوير

تأليف

ليود سبنسر

و

أندرزيجى كروز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٦٩٨
- عصر التنوير
- ليود سبنسر
  أندرزيجى كروز
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

The Enligntenment

by: LIyd Spencer & Andrzej Kraze

الصادر عن دار:
ICON BOOKS (2000)

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084

الفهرس

مقدمة

بقلم المترجم

أقدم لك .. هذا الكتاب ... !

هذا هو الكتاب الحادى والخمسون من سلسلة «أقدِّم... لك!»، وهو يتناول بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرَّت على الإنسان فى العصر الحديث، وأعنى به«عصر التنوير» فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين؛ ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن «الثورة المجيدة» فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصرالتنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة ، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدأون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.

ولقد كان المفكرون القادة لعصر التنوير فى القرن الثامن عشر يعتقدون أنه يمكن تفسير النظام الأساسى للكون عن طريق الجهود العلمية، وأنه يمكن السيطرة على كل مسارات الطبيعة والكشف عن أسرارها.

ويركز الكتاب على شخصيات رئيسية فى هذا العصرمنها: ڤولتير، ومونتسكيو، وديدرو، وروسو، وهولباخ، ودالمبير، وديفيد هيوم... لكنه لا ينسى الرواد الذين امتد أثرهم قويا إلى هذا العصر، ومنهم الفلاسفة الإنجليز: جون لوك، وفرانسيس بيكون، وتوماس هوبز ، وقبل هؤلاء جميعا إسحاق نيوتن.

كمـا عرض نماذج من كـتاباتهم التى كـان لها أثرها فى عـصر التنوير: الـرسائل الفارسيـة، وروح القوانين لمونتسكيو، والعـقد الاجتماعى وأصل التـفاوت لروسو، ومقال عن الفـهم الإنسانى، ورسالتان فى الحكم لجـون لوك.. فضلا عن الروايات والقصص والمسرحيات التى احـتوت على الكثير من الأفكار التنويرية، لكنه توقف طويلا عند «الموسـوعة» الشهـيرة والمواد التى تضـمنتهـا والصعوبات الـتى صادفت نشرها، وتوقف العـاملين بها ثم معاودة الكتـابة، ومصادرة السلطات لهـا، والجهود الجبارة التى بذلها فلاسفة التنوير لإصدارها، بمعاونة بعض الملوك ومعارضة بعضهم الآخر.. إلخ، وفـرار فلاسفة التنوير خـوفا من ملاحـقة السلطات لهـم: ڤـولتيـر إلى ألمانيا، وإلى إنجلتـرا، وروسو إلى جنيف ثم إلى إنجلترا، وديدرو إلى روسـيا.. إلخ. فتاريخ كتابة «الموسوعة» التى اعتبرت إحدى إنجازات عصر التنوير العظيمة ـ ملىء بالأشواك والمصـاعب والعرق والدموع! كـما يكتب المؤلف أيضًا عن آدم سـميث، وصامويل جونسـون، وإمانويل كانط، وبنيامين فرانكلين، وتوماس جيـفرسون كما يكتب عن الماسونية والأعضاء البارزين فيها: فهو إذن بحث مركز، وإن كان شاملا، فى حيز ضيق عن عصر من أخطر عصور الحضارة.

ومن هنا كـان الكتاب بالغ الأهمـية لكل مـثقـف يريد أن يلِمَّ بعصـر التنوير فى عجالة سريعة...

نرجو أن نكون قد وفقنا فى نقله إلى اللغة العربية...

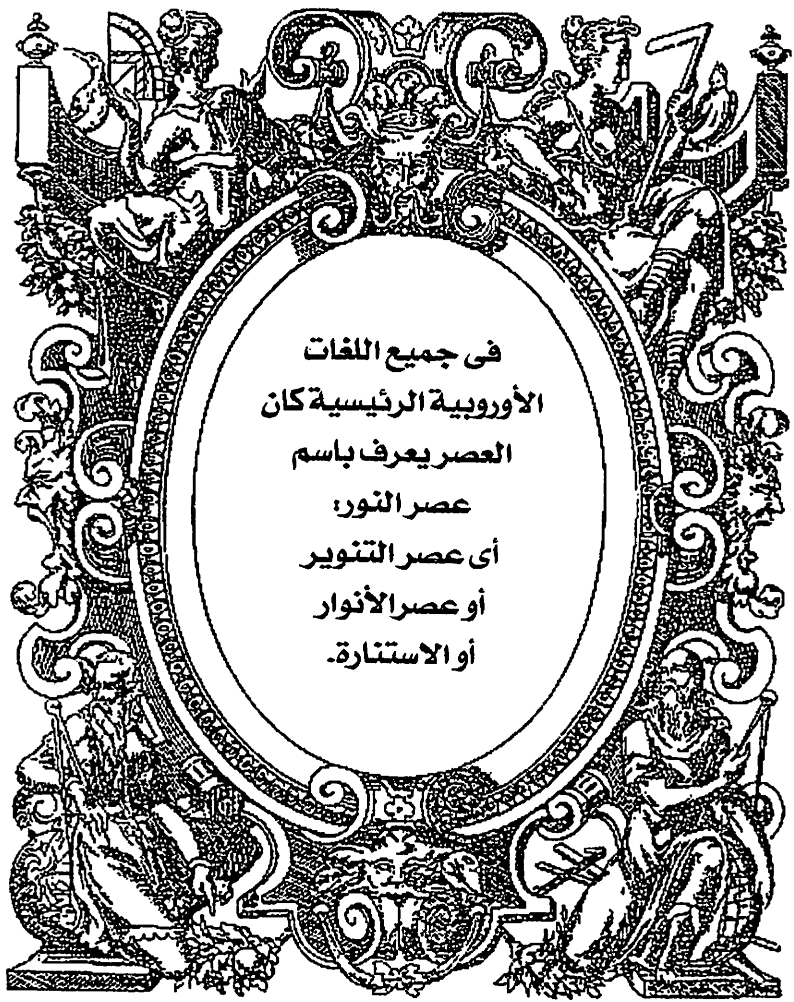
والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل،

المشرف على سلسلة «أقدِّم لك ..»

إمام عبد الفتاح إمام

ليكن نور..

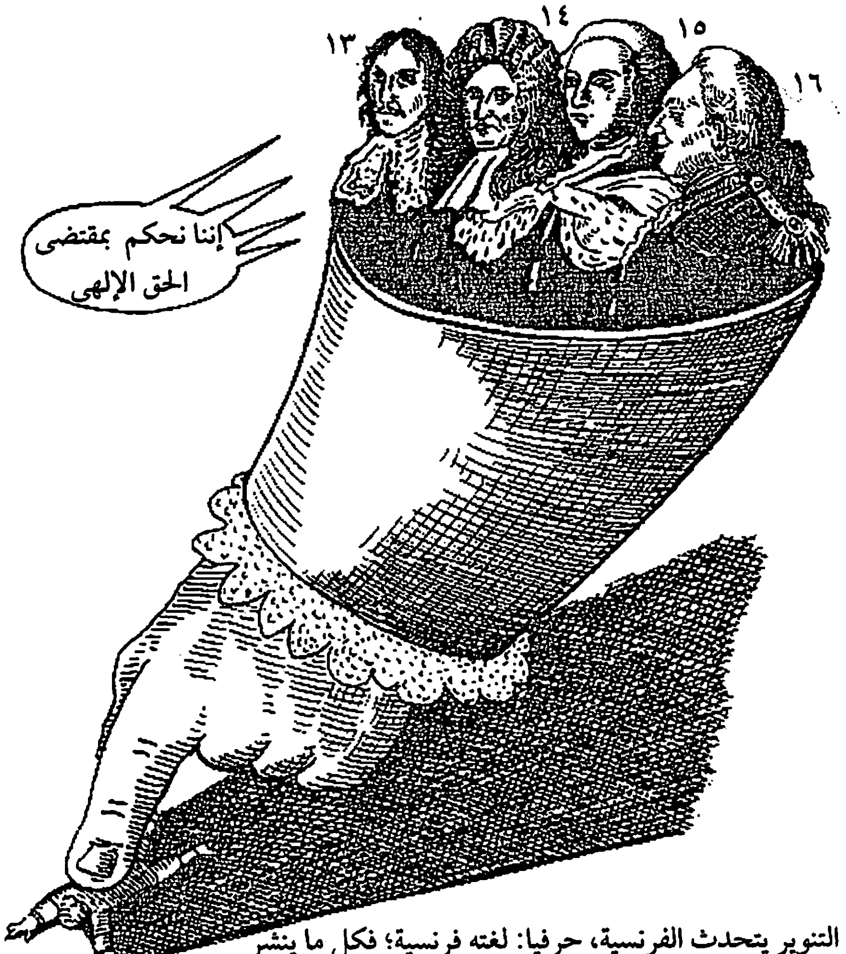
كان التنوير تيارا عقليا حرك أوروبا كلها إبان القرن الثامن عشر، وتركز فى باريس، ثم انتشر منها فى كل أرجاء أوروبا ومنها إلى المستعمرات الأمريكية، فكانت هناك شبكة من الكتاب والمفكرين، أعطت للقرن الثامن عشر تماسكا عقليا ملحوظا.



لقد شعر مثقفو عصر التنوير بأنهم جزء من حركة عظيمة تمثل التطلعات العليا والإمكانات الرفيعة للجنس البشرى، فهم مصلحون يؤمنون بأن قضيتهم يمكن خدمتها على أفضل نحو عن طريق عاطفة جديدة للبرهان، والنقد، والنقاش.

تألق الملك المطلق وإشعاعه

فى فرنسا كان عهد الملك المطلق: لويس الثالث عشر (١٦٠١ ـ ١٦٤٣)، ولويس الرابع عشر ـ الملك الشمس ـ (١٦٣٨ ـ ١٧١٥)، ولويس الخامس عشر، ولويس السادس عشر (١٧٥٤ ـ ١٧٩٣) قد جعل من باريس عاصمة الثقافة فى العالم، وخلق فى الوقت ذاته جمهوراً وهدفا للإصلاح فى التنوير الفرنسى.



التنوير يتحدث الفرنسية، حرفيا: لغته فرنسية؛ فكل ما ينشر فى فرنسا تتقبله فى الحال جماعة المثقفين فى كل أنحاء أوروبا، والمؤلفات المهمة التى لم تكتب أصلا فى فرنسا سرعان ما تترجم إلى اللغة العالمية. ويعلن رجال الأدب والثقافة فى أنحاء العالم أنهم تلاميذ للكتاب الفرنسيين.

باريس عاصمة التنوير



كان ذلك صحيحا بالنسبة إلى ديفيد هيوم، وآدم سميث فى إسكتلندا بقدر ما هو صحيح بالنسبة إلى بنيامين فرانكلين وتوماس جيفرسون فى المستعمرات الأمريكية، وسيزار بيكاريا فى ميلان. فهم يعرفون أنهم «وصلوا» عندما يقبلون فى صالونات باريس. فجماعة البلاط فى جميع أنحاء أوروبا، وكذلك طبقة البرجوازيين الأثرياء ينظرون إلى فرنسا على أنها النموذج للدولة.



كتب أحد الإقطاعيين فى مقاطعة سسكس الإنجليزية يقول: « الرجل الذى يفهم الفرنسية يستطيع أن يتجول فى أنحاء العالم دون خوف من أن لا يفهمه أحد، وفى استطاعته أن يكون مقبولا تمامًا من كل صحبة جيدة، وهو ما لا يحدث فى أية لغة أخرى مهما كانت».

بدايات النور

كتب لورد شافتسبرى فى ٦ مارس عام ١٧٠٦ رسالة إلى «لوكليرك» يقول فيها: «هناك نور قوى ينتشر فى جميع أنحاء العالم، لاسيما فى تلك الدول الحرة مثل إنجلترا وهولندا، فهى أكثر الدول تحرراً فى أوروبا ، فأمستردام تقدم مأوى للمفكرين الأحرار والمنشقين دينيًا من كل صوب». وفى عام ١٦٦٧ كتب الفيلسوف الإنجليزى چون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) « رسالة فى التسامح»(١) وارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمتآمرين البروتستانت ضد حكم الملك الكاثوليكى جيمس الثانى (١٦٣٣ ـ ١٧٠١).



وهناك توافر لوك على كتابة مؤلفاته الرئيسية « مقال حول الفهم البشرى» و «رسالتان عن الحكومة»(٢) ولقد ظل هذان الكتابان موضع مناقشات حادة إبان عصر التنوير.

(١) ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت عام ١٩٨٨ . (المترجم)

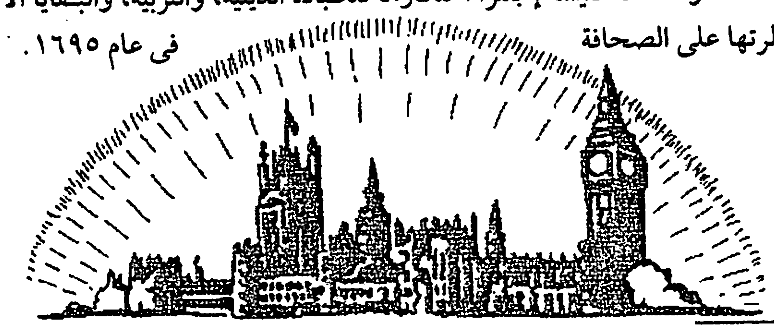
(٢) ترجمها إلى العربية الدكتور ماجد فخرى تحت عنوان « فى الحكم المدنى» اللجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٥٩ . (المترجم)

إنجلترا و "الثورة المجيدة"(١)

المقاومة المستمرة للملك جميس الثانى وأنشطته الكاثوليكية جعلت البرلمان الإنجليزى يستدعى وليم الثالث البروتستانتى الهولندى «أون أورانج» (١٦٥٠ ـ ١٧٢) وزوجته الثانية مارى الثانية لتولى عرش إنجلترا، فأبحرا من هولندا وأحدثا بذلك ثورة غير دموية هى التى تسمى باسم «الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨.



ولقد أرست هذه الثورة ـ بالقطع ـ سيادة البرلمان الإنجليزى، وأصدرت إنجلتر ما سمى باسم «لائحة الحقوق»، وسرعان ما ظهرت إصلاحات أخرى فى إنجلترا أكثر الدول ليبرالية وتحررا فى أوروبا. وسمح قانون التسامح عام ١٦٨٩ لمعظم المنشقين البروتستانت ـ بما فى ذلك بعض الفرق من أمثال الكويكرز ـ بالعبادة فى حرية دون أن تكون لهم وظائف عامة. وفقدت كنيسة إنجلترا احتكارها للعبادة الدينية، والتربية، والبقايا الأخيرة من سيطرتها على الصحافة فى عام ١٦٩٥.



(١) يطلق تعبير «الثورة المجيدة» فى التاريخ الإنجليزى على أحداث السنوات (١٦٨٨ـ ١٦٨٩) التى أدت إلى خلع جيمس الثانى وتولية وليم ٣ «أورانج» البروتستانتى وزوجته مارى٢ اللذين قبلا قانون الحقوق، وأقرا سيادة البرلمان. (المترجم)

عصر الثورات

العاصمتان العالميتان الكبيرتان: باريس ولندن، نمتا معا بطريقة درامية إبان القرن الثامن عشر، إلا أن القوة التجارية لإنجليزا كانت تعنى أن لندن أكثر تقدما، فقد كانت إنجلترا فى النصف الأول من القرن تمر بثورة زراعية، وفى النصف الثانى من القرن تقدمت الثورة الصناعية بضع خطوات.



إلى فرساى، إلى فرساى، عام ١٧٨٩.

لقد حاولت هذه الثورات أن تضع مبادئ عصر التنوير موضع التطبيق العملى.

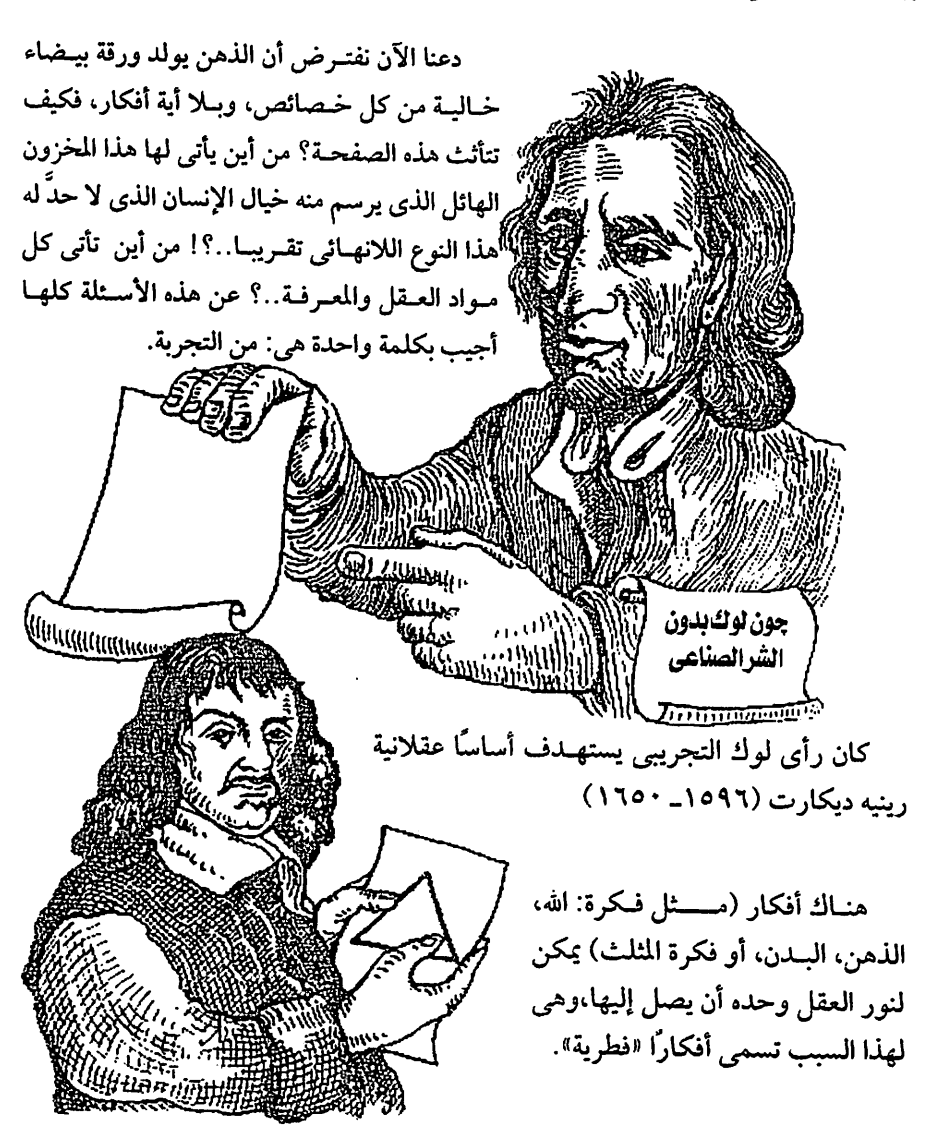
المقاهى، والنوادى الاجتماعية، والصحافة

كان ذلك أيضًا عصر صحافة الأفكار، والألفة العامة أو المؤانسة. كما كانت المقاهى الحياة الثقافية فى لندن، فلم يحل عام ١٧٤٠ إلا وكان هناك أكثر من ٤٠٠ مقهى فى منطقة وستمنستر وحدها. واستخدمت البنوك المقاهى، كما استخدمتها شركة الهند الشرقية للتجارة، وأصبحت مقهى «لويد» فى عام ١٦٩١ هى «لويد لندن»، أى مركز التأمين البحرى.



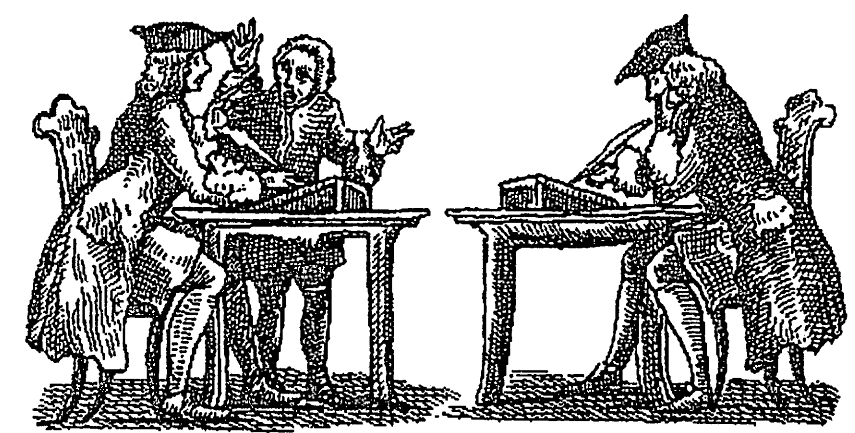
الصفحة البيضاء عند لوك

كان الكتاب الأساسى فى القرن الثامن عشر للفيلسوف ولغير الفيلسوف على السواء هو كتاب چون لوك «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٦٩٠ . كان المعتقد الفلسفى عند معظم مفكرى عصر التنوير، تقريبا، هو مبدأ چون لوك القائل بأن الذهن يولد «صفحة بيضاء» وأنه ليس هناك أفكار «فطرية» وأن كل معرفة مستمدة من التجربة.



كان رأى لوك التجريبى يستهدف أساسًا عقلانية رينيه ديكارت (١٥٩٦ـ ١٦٥٠)

تفرق تجريبية لوك بين نوعين من التجربة: الإحساس الخارجى والتأمل الداخلى.



وفى فرنسا عمد إيتين كوندياك (١٧١٥ ـ ١٧٨٠) إلى جعل فلسفة چون لوك شعبية، فأكد فى كتابه «مقال عن أصل المعرفة» عام ١٧٤٦ دور الانطباعات الحسية أو الإحساسات.

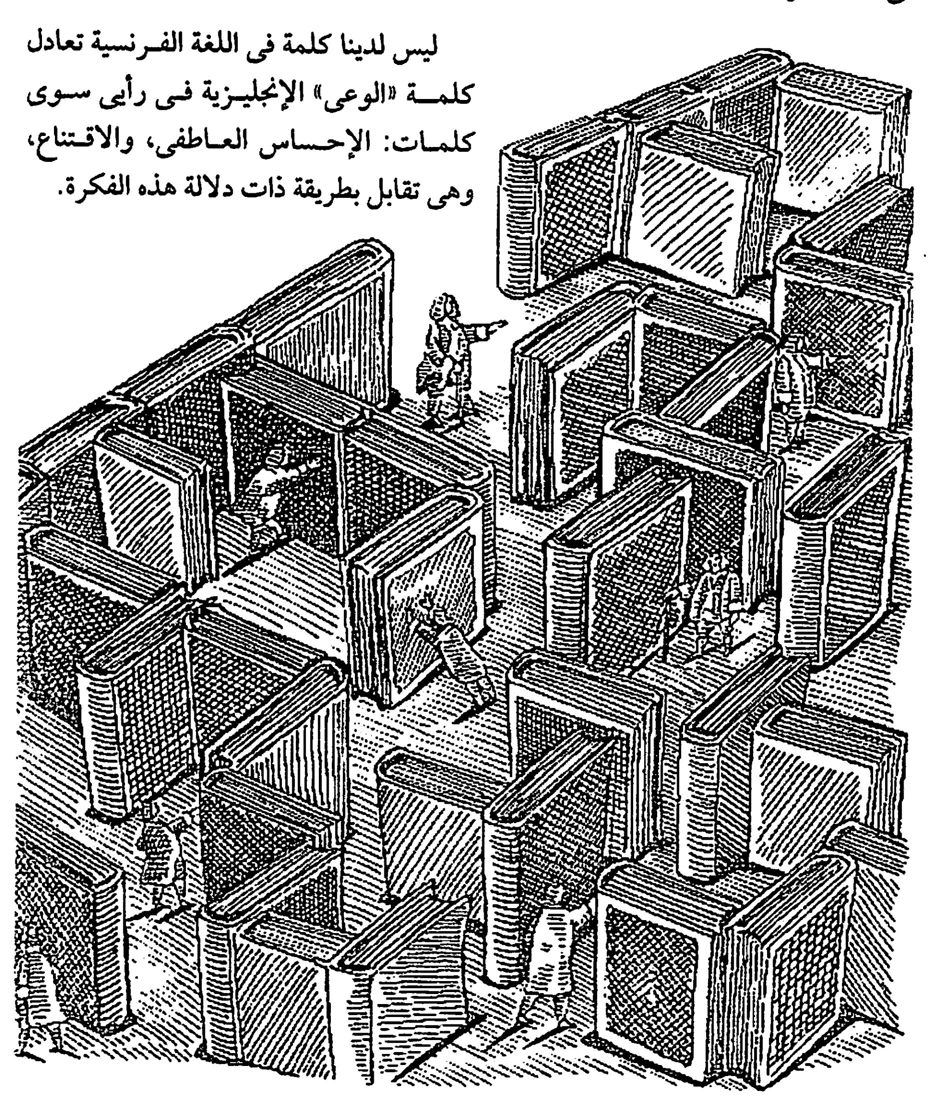
والتقى «المذهب الحسى» مع المذهب المادى، والنظرة الحتمية إلى الطبيعة البشرية التى طورها فلاسفة التنوير من أمثال «لامترى» «وهولباخ».

ولقد شدد لوك نفسه على دور التأمل والتفكير واعترف بدور الملكات الذهنية، كما اعتقد فضلاً عن ذلك في ميلنا الفطرى إلى البحث عن اللذة وتفادى الألم، وهذه الجوانب هى التى اشتغل عليها كوندياك.

لغة الذات

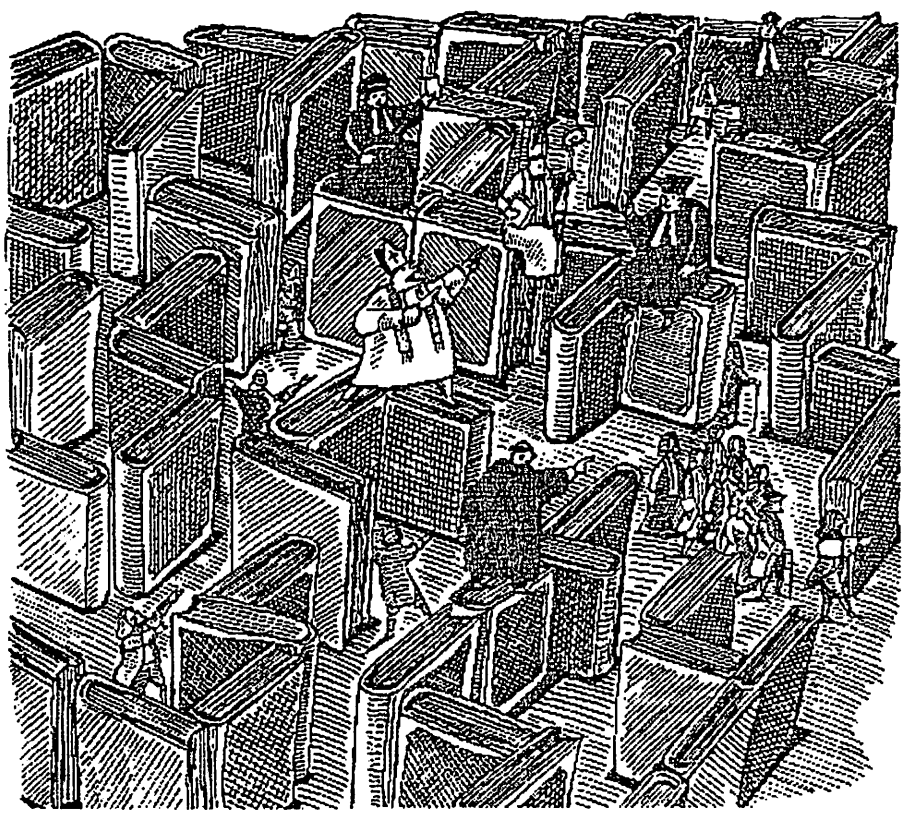
أدخل «بيير كوست» الذى ترجم كتاب جون لوك: «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٧٠٠ ملحوظةً يشرح فيها لماذا ترجم مصطلح«الوعى» بكلمة «الضمير» الفرنسية فقط ليستشهد بعبارة شرون «الوعى الأخلاقى يعنى معرفة الإنسان لنفسه»، لكنه يعترف بأنه انحرف بكلمة الضمير الفرنسية من معناها العادى المألوف ليعطيها معنى لم يكن لها أبداً فى اللغة الفرنسية.

ليس لدينا كلمة فى اللغة الفرنسية تعادل كلمة «الوعى» الإنجليزية فى رأيى سوى كلمات: الإحساس العاطفى، والاقتناع، وهى تقابل بطريقة ذات دلالة هذه الفكرة.



فهم حدود فهمنا

لعدة مئات من السنين ظلت أرض السيرة الذاتية محجوزة كلها للقساوسة والمعترفين، وكانت الكنيسة تملك لغة غنية متطورة للمبادئ الأخلاقية. ودراسة لوك للفهم البشرى قادته إلى تطوير لغة جديدة عن الجوانية التى يمكن أن نسميها لغة سيكولوجية. ولم تكن كلمة السيكولوجيا تستخدم كثيرا فى القرن الثامن عشر، ولقد شرع لوك فى توجيه نقد مدمر لما كان لدى أساتذة الجامعات فى العصور الوسطى من «نسيج من الكلمات المربكة الغريبة والتى لا يمكن تفسيرها». وبدأ يخطط لتحكم جديد للجانب الداخلى.



فهمنا محدود، وعلينا أن نقبل حدوده، لكن داخل الحدود المفروضة علينا، دعنا نمارس أقصى فهم ممكن عن طريق دراسته والوقوف على طريقة عمله.. وينبغى علينا أن نلاحظ كيف تتشكل أفكارنا وكيف تتجمع وتترابط الواحدة مع الأخرى، وكيف تحتفظ بها الذاكرة. وبالنسبة لهذا النشاط كله، فمازلنا نجهله حتى الآن جهلا تاما.

علم النفس... والرواية

علم النفس، كما فـهمه القرن الثامن عشـر، هو العلم الذى خطط له چون لوك، وكان كتـاب «المقـال ... » لچون لوك المنبع والمصـدر الأساسى لضـرب من الأدب يتعـامل مع «ردود أفعـال الذات» المتماسكة أو غيـر المتماسكة للانطبـاعات التى تؤثر فيهـا وتشكلها.



فى الوقت الذى كـان لورنس ستيـرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) يكتب روايتـه «حيـاة وآراء ترسترام شادى» (١٧٥٩ ـ ١٧٨٧) كان كـتاب «المقال ... » لچون لوك يتغلغل فى الوعى الأدبى بطريقة تخـتلف أتم الاختـلاف عن أى كتاب «فلسـفى» آخر، بل إن رواية ستيرن تقدم لمحة مختصرة عن كتاب چون لوك العظيم.

ترستردام شاندى

صل ، يا سيدى فى كل قراءة تقرؤها، هل قرأت فى أية قراءة قرأتها كتابا مثل كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى»؟ لا تتسرع فى الإجابة لأننى أعرف أن كثيرين اقتبسوا من الكتاب ولم يقرءوه وأن كثيرين قرءوه، ولم يفهموه.



لو كانت حالتك هى أيا من هاتين الحالتين، فإننى سوف أخبرك فى ثلاث كلمات ما هو هذا الكتاب: إنه تاريخ ـ تاريخ لمن؟ ولماذا؟ وأين؟ ومتى..؟

.. إنه كتاب فى التاريخ.. تاريخ ما مرَّ على ذهن الإنسان، وإذا ما أردت أن تقول الشىء الكثير عن الكتاب، بغير زيادة، صدقنى أنك لن تتجاهل أية شخصية حقيرة فى دائرة الميتافيزيقا.

.. تأثير لوك الاجتماعى

تجاوز تأثيـر جون لوك المدارس والجامـعات، والمجتمـعات المثقـفة والأكاديميات؛ فـقد أصبحت أفكار«لوك » «خصائص» لازمة للنخبة المثقفة.



قصص خيالية فى خدمة الحقيقة

كان هناك تفاعل مستمر فى أدب القرن الثامن عشر بين الفلسفة والقصة الخيالية، وهذه الروايات تراث يمتد إلى الوراء حتى الإمبراطورية الرومانية، إلا أن القصة الخيالية فى عصر التنوير واجهت مهاما جديدة، وملحة.

والقصة الخيالية تناسب بطريقة فريدة السن التى يقوم فيها الفتى - أو الفتاة - بشق طريقه إلى العالم، أما القراء الذين يزداد حب استطلاعهم ومعلوماتهم فيتوقعون حكايات عملية ونموذجية. وتوضع الأفكار المتلقاة على محك اختبار التجربة، وتقاسى الأعراف الأدبية من مطالب الواقع غير المنظم.

لقد كانت الرواية فى عصر التنوير تتميز بتركيزها على الفرد الواحد وتتحقق من أثر العالم الذى لا يمكن التكهن به على تجارب هذا الفرد.



وهناك نوع آخر من المعرفة يتجاوز سلطة التعليم ويمكن تحصيله عن طريق المناقشة، ولا يمكن للكشف العملى الحقيقى أن يُعرف إلا عن طريق العالم فحسب.

(١) دانيال ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١): أديب إنجليزى كتب روبنسون كروزو عام ١٧١٩ . (المترجم)

(٢) فيلدنج، هنرى (١٧٠٧ - ١٧٥٤): روائى وكاتب مسرحى إنجليزى كتب «جوزيف أندروز» التى وصفها بأنها «ملحمة هزلية» كما كتب مسرحيات كلها كوميدية . (المترجم)

مغامرات الـ ...

يسافر أبطال القرن الثامن عشر وبطلاته حول العالم فى رحلاتهم التشردية، آملين فى تحسين أنفسهم وتحسين مصيرهم فى الحياة، وهم يحاولون - على أقل تقدير - تدعيم شعورهم بقيمتهم الذاتية فى مواجهة الشدائد والمحن والفساد، والغواية.



فى كثير من هذه القصص نلتقى بالشخصية الرئيسية وهى متورطة فى مشكلة أخلاقية أو مأزق أخلاقى، وكثيرا ما نعلم كل حركة يقوم بها، وبكل نزوة يعانون منها، من خلال الخطابات التلقائية التى يكتبونها.

رواية باميلا (للروائى الإنجليزى صمويل ريتشاردسن)، هلويز الجديدة (لچان چاك روسو) آلام ڤرتر الشاب (لجوته)، العلاقات الخطرة (شودر لوز دى لاكلوز).

روايات الفلاسفة

الروائيون فى عصر التنوير لم يستعيروا، ببساطة، مجموعة من الأفكار الفلسفية، وإنما جعلوها درامية ووهبوها الحياة، ولقد كتبت بعض الروايات العظيمة فى هذا العصر بقلم أعظم فلاسفته أهمية. فقد كانت «هلويز الجديدة» التى كتبها چان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) أكثر القصص رواجا فى القرن الثامن عشر، كما لاقت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو، و«كانديد» لڤولتير نجاحا فى كل أوروبا، أما التحفة الأدبية لديدرو فكانت: «چاك المؤمن بالقضاء والقدر».



مثل قصة ديفو «روبنس كروزو»، لكن على نطاق أصغر، هذه القصص عبارة عن «تجارب فكرية».

وتشمل حكايات ڤولتير رواياته: كانديد، والحكايات الأقصر، وميكروميجاس، وزاديج، والساذج، والثور الأبيض.



وكانت إحدى السير الذاتية المبكرة التى كتبها ڤولتير، يعترف الماركيز دى كوندورسيه (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) بالعبقرية الفنية التى ظهرت فى كتابة «كانديد» وغيرها مثل الحكايات الفلسفية، فمن سوء هذا الجنس أن ظهر بمظهرالسهل البسيط، «لكنه يتطلب مواهب نادرة مثل أن تعرف كيف تعد بلعبة الذكاء والخيال ـ أو حتى بأحداث القصة ـ نتائج فلسفية عميقة دون أن يتوقف عن أن يكون طبيعيًا، وكيف يكون لاذعا دون أن يكف عن أن يكون صادقا، فعلى المرء أن يكون فيلسوفًا، دون أن يبدو أنه كذلك». كوندورسيه.

كانديد

سخر ڤولتير فى قصة كانديد أو التفاؤل «عام ١٩٥٩» لا من التفاؤل فقط، بل من جميع أشكال المذهب من ليبنتز ومذهبه الميتافيزيقى إلى مذاهب الكنيسة والمذاهب الاستعمارية، بل حتى مذهب المنطق نفسه ـ والقصة تتبع البطل «كانديد» فى معظم العالم المعروف فى ذلك الوقت عارضًا أنواع النفاق والجنون ومؤسساته ومواقعه. وكان يصاحب «كانديد» دكتور «بانجلوس» الذى يردد ترديدا ببغاويا لصورة ممسوخة غير منطقية لمذهب ليبنتز، وكان يؤمن إيمانا لا يتزعزع بأن المنطق والعقل يمكن أن يبررا جميع شرور الوجود بأن يتجاهلا الوقائع ميتافيزيقيا، وتنتهى الرواية عندما يدرك كانديد فى النهاية أن العمل أكثر نفعا من النظر الفارغ.



روايات عصر التنوير

دانيل ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١): كان من أوائل الكتّاب الذين كسبوا عيشهم ككاتب محترف مستقل، فقد كتب أكثر من خمسمائة عمل تم نشرها بما في ذلك الكتابات الصحفية السياسية والدينية. في عام ١٧٠٤ عندما كان يعمل موظفا حكوميا بدأ في نشر صحيفته الخاصة، بعنوان، الصحيفة النقدية The Review وكانت الصحافة هي الأساس في نشر بعض الكتب الرئيسية مثل «يوميات سنة الطاعون» ١٧٢٢، وكان ديفو تقريبا في الستين من عمره عندما كتب أول قصصه الخيالية: «روبنسن كروزو» عام ١٧١٩، ثم أعقبتها قصص أخرى مثل: «حظ وبؤس مول فلاندز الشهيرة» ١٦٢٢، و«روكسانا السيدة المحظوظة» عام ١٧٢٤ ، و«جوناثان سويفت» ١٦٦٧ ـ ١٧٤٥ الذي أرسل إلى لندن مبعوثا للكنيسة الأيرلندية. وكتب العديد من النشرات وأسس نادي التهكم مع غيره من الساخرين من أمثال مبتكرشخصية «جو بول»[1] چون آربثنوت (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) ، والشاعر ألكسندر بوب (١٦٨٨ ـ ١٧٤٤)، والكاتب المسرحي چون جاي (١٦٨٥ ـ ١٧٣٢)، وفي عام ١٧٢٦ نشر سويفت كتابه الساخر العظيم: «رحلات جاليفر». ولقد استهدفت روايات صموئيل ريتشاردسن (١٦٨٩ ـ ١٧٦١) إدخال الجانب الأخلاقي في صورة جديدة تسمى كتابة اللحظة: «باميلا أو جزاء الفضيلة» (عام ١٧٤٠)[2] وكلاريسا أو تاريخ سيدة شابة (١٧٤٧ ـ ١٧٤٨) [3]وهي مكتوبة على شكل رسائل المفترض أنها أرسلت مباشرة بعد تورط الناس، وهذا الأسلوب في السرد القصصي سخر منه هنرى فيلدنج (١٧٠٧ ـ ١٧٥٤) بروايته «شاميلا» عام ١٧٤١، وكانت مسرحيات فيلدنج الساخرة قد استفزت فقرة من قانون الرفض (عام ١٧٣٧) والرقابة على المسرح. ففي مقدمته لرواية «چون أندروز» عام ١٧٤٢ يعترف فيلدنج بأنه متحير فيما يطلقه على شكل قصته الخيالية أهي «قصيدة ملحمية كوميدية في قالب نثري». ورواياته الرئيسية الأخرى هي «جوناتان وايلد » عام ١٦٣٤ ، وتوم جونز ١٧٤٩، والمثل الذي وضعه فيلدنج تابعه الروائي الأسكتلندي طوبياس سمولت (١٧٢١ ـ ١٧٧١) الذي كتب روايات رودريك راندم (١٧٤٨) و«مغامرات بريجرين بيكل» ١٧٥١ «ومغامرات سير لانسوف جريفز »١٧٦٢ «وحملة همفري كلينكر» ١٧٧١ . وتبنى چون كيلاندر (١٧٠٩ ـ ١٧٨٩) شكل الرواية ليروي ذكريات امرأة المتعة «تعرف عادة باسم فاني هيل» وابتكر رواية كلاسيكية من الأدب المكشوف.

---

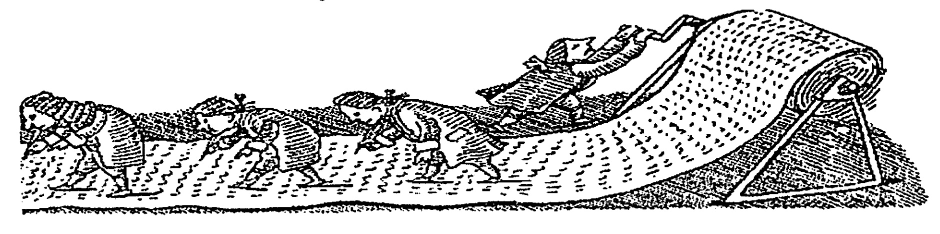
(١) شخصية ابتكرها چون آربثنوت ليروى من خلالها بصورة فكهة خصومات نيقولا فروج (لويس الرابع عشر) ولم يستطع أحد كتابة التاريخ على هذا النحو الهجائي الطريف. (المترجم)

(٢) «باميلا» قصة خادمة صبية جميلة يحاول سيدها أن يغريها بشتى الوسائل ولايفلح ثم يتزوجها أخيراً ولا يندم على هذا الزواج . (المترجم)

(٣) كلاريسا فتاة من الريف، نبيلة جميلة ناعمةسعدت على الأرض سعادة الملائكة إلى أن ظهر «لفّليس» الشيطان في صورة إنسان.. إلخ . (المترجم)

فى لحظات يائسة بسبب حاجته الملحة إلى المال لمساعدة أمه المريضة لم يستغرق صموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) سوى أسبوعين فقط لكتابة « تاريخ راسلاس : أمير أبسينيا » (١٧٥٩) وهى رواية أخلاقية تسير فى تواز دقيق مع رواية ڤولتير «كانديد» ونشرت فى العام نفسه، وأخرج كاهن إنجليزى هو لورانس ستيرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) أكثر الروايات غرابة فى عصر التنوير وهى «حياة ترسترام شادى وآراؤه » فى تسعة مجلدات (١٧٥٩ ـ ١٧٦٧) وكتابه الرئيسى الثانى «رحلة عاطفية» «عام ١٧٦٨) يمثل أدب « الحس الرفيع» أو رقة المشاعر الذى كسب أرضا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر.

وكان أبيه بريڤوست (١٦٩٧ ـ ١٧٦٣) من الصحفيين المتحمسين ومترجمًا دءوبا لا يكل ولا يمل، دائم التردد على حلقات الفلاسفة، قدمت روايته الشعبية «مانوث ليكو» عنصراً تراجيديا فى جنس الرواية، كان بيير كارليه دى ماريفو (١٦٨٨ ـ ١٧٦٣) كاتبا مسرحيا فرنسيا رائدا فى القرن الثامن عشر، كتب «حياة مارين» (١٧٣١ ـ ١٧٣٢) و«الفلاح محدث النعمة»، (١٧٣٤ ـ ١٧٣٥) ومجموعة من القصص الجميلة، رغم أنها لم تتم، استرعت انتباه فرنسا المعاصرة ، وكانت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو عام ١٧٢١ أكثر كتب القرن رواجا حتى ظهور رواية «كانديد» لڤوليتر التى نشرها فى باريس وجنيف، ولندن، وبروكسل فى وقت واحد ليجعل الرقابة عليها مستحيلة، ولقد ظهرت ترجمتها الإنجليزية فى ستة أسابيع . وهناك القصص الخيالية الخطيرة لـ «ديدرو» مثل «الراهبة» عام ١٧٦٠، و «ابن أخ رامو» عام ١٧٦٣ وكتابه الرئيسى «جاك المؤمن بالقضاء والقدر» فى ١٥ حلقة (١٧٧٨ ـ ١٧٨٠) وكثيرا ما كان ديدرو يجسد الأحداث والأشخاص فى محاورات فلسفية خيالية، وذلك مثل «حلم دالمبير»، وكان أعظم القصص الخيالية رواجا فى أواخر القرن الثامن عشر هى قصة «جولى أو هلويز الجديدة» «روسو»، عام ١٧٦١، وهناك قصة فى شكل رسائل «أو الرسائل الروائية» عن أوقات الشدة والضيق فى الحب المحبط الذى يثير العاطفة ، وكذلك الحساسية فى علاقات أو «ارتباطات خطرة» عام ١٧٨٢ بقلم بيير أمبرواز فرانسوا شودرلو دى لاكلوس (١٧٤١ ـ ١٨٠٣) التى تروى قصة مغويين فاجرين فى شكل رسائل خفية مليئة بالتهكم والسخرية، وهناك جوستين الجديدة عام ١٧٩٧ وهى قصة بقلم الماركيز دى ساد (١٧٤٠ ـ ١٨١٤) وهى نسخة منقحة وموسعة من قصته «جوستين أو سوء حظ الفضيلة» (١٧٧٩) وهى تعبير مفصل عن السادية الجنسية، وكانت تستهدف استدعاء أصداء عنوان روسو.



فكرة المتوحش النبيل

كان القرن الثامن عشر هو عصر السياحة العظيم، عصر التجارة البحرية والاستكشاف؛ مما شجع على شكل من أشكال «الأنثروبولوجيا المقارنة» .

ففي عام ١٧٦٧ وصل المستكشف الفرنسي لويس أنطوان دى بوجنڤيل (١٧٢٩ ـ ١٨١١) إلى تاهيتى[1]، وفى عام ١٧٦٩ استقر كابتن كوك (١٧٢٨ ـ ١٧٧٩) هناك لمدة أربعة أشهر ليراقب مرور ڤينس Venus «كوكب الزهرة»[2] ولما كان بوجنڤيل من أتباع «روسو» فقد عثر بين أهل تاهيتى على كل صفات «المتوحش النبيل». أما كابتن كوك فقد كان مواطنا عنيدا من يوركشير.

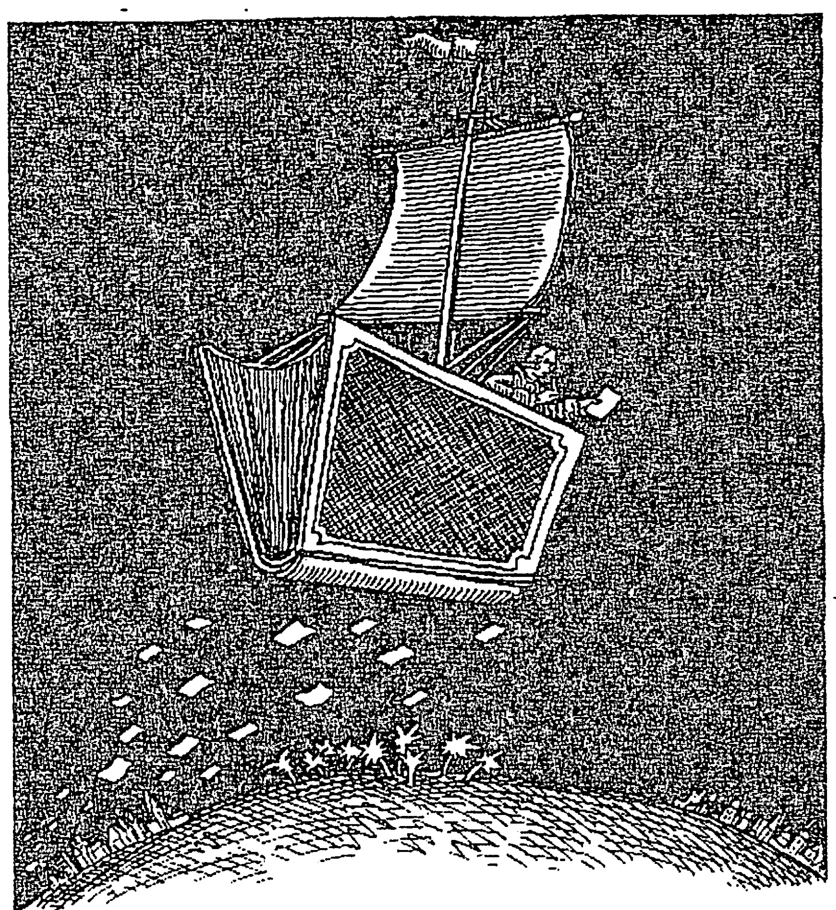


استخدم «ديدرو» فى استكمال لرحلة بوجنڤيل منظور «عين البرىء» لرجل تاهيتى لتسليط الأضواء على غرابة العادات والتقاليد التى اعتبرت «طبيعية». وسرعان ما تساءل المثقفون اللامعون من أهل باريس ولندن عما إذا لم تكن كلمة «الحضارة» تناسب أهالى جزر البحار الجنوبية الذى لم يفسدوا، أكثر مما تناسب المجتمع الفاسد على نحو لا مثيل له فى أوروبا فى القرن الثامن عشر.

(١) لويس أنطوان دى بوجنڤيل (١٧٢٩ ـ ١٨١١) : ملاح ومستكشف فرنسى، قاد أول بعثة فرنسية أبحرت حول العالم (١٧٦٦ ـ ١٧٦٩) اكتشف عام ١٧٦٨ جزر بوجنڤيل كبرى جزر سليمان فكرِّم بإطلاق اسمه عليها. (المترجم)

(٢) چيمس كوك J. Cook (١٧٢٨ ـ ١٧٧٩): ملاح ومستكشف بريطانى يعتبر أحد الملاحين فى التاريخ، قاد ثلاث بعثات علمية إلى نصف الكرة الجنوبية ووصل إلى اكتشافات مهمة فى أستراليا والمحيط الهادى، قُتل فى هاواى، يُعرف باسم الكابتن كوك Captain Cook . (المترجم)

فكرة «المتوحش النبيل» أو (المواطن البسيط) تضرب بجذورها فى أدب القرن الثامن عشر، فيكاد يكون من الصعب على المؤلف سواء أكان جادا أم هازلا أن يفشل فى وصف «توحشه» لقرائه. لقد بدأ «مونتسكيو» بأميره الفارسى كما سوف نرى، أما ڤولتير فقد جعل هذا النمط خالدا فى قصة «كانديد» ، كما حلله «بوفون» فى يقظة آدم، وخلق «روسو» دوره الخاص بتمثيل المتوحش فى اعتزاله المتفرد.



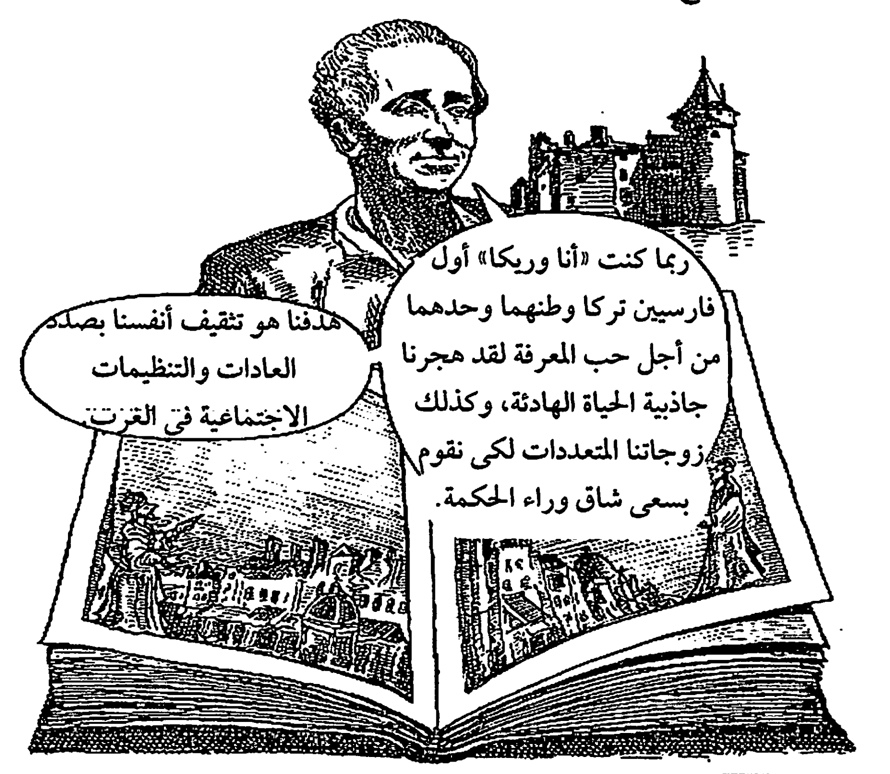
وبحلول عام ١٧٧٠، لم يكن هناك تلميذ فى الفلسفة إلا ويسعى لمراجعة قوانين وعادات بلاده فى ضوء نصائح أهل الصين أو أهل «إروكوا»[١] كما أن ابن الأسر الكريمة ربما يسافر مع كاهنه. دعنا نرى كيف سار مونتسكيو مع هذه الفكرة.

(١) Iroquois : قبائل من الهنود تشمل خمس أمم مرتبطة فيدراليا. (المترجم)

الرسائل الفارسية...[1]

ولد مونتسكيو (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) أو البارون شارل لويس دى سكوندا، بارون دى لابريد، ومونتسكيو ـ إذا شئنا أن نذكر اسمه كاملا ـ ولد من أصل نبيل[2]، وورث مركزا رفيعا كرئيس للمحكمة العليا فى مقاطعة بوردو، وفى عام ١٧٢١ نشر (غُفلا فى هولنده) ما سوف يصبح واحدا من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة تأثيرا فى القرن الثامن عشر وهو كتاب «الرسائل الفارسية».

والكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل كتبها اثنان من الفرس هما «أوزبك Us-bek» و«ريكا Ricca » فى أثناء إقامتهما فى باريس، وأسفارهما فى أوروبا، إلى أصدقاء فى وطنهما وقد شرع الفارسيان فى «رحلتهما العظيمة».



---

(١) ترجمها إلى العربية أحمد كمال يونس، وراجعها عبد الحميد الدواخلى ونشرتها دار سعاد الصباح ط ٢ عام ١٩٩٢.(المترجم)

(٢) كان مونتسكيو ينتسب إلى ما يسمى «نبلاء السلاح، ونبلاء الرداء» فقد كان أبوه كبير القضاة وأمه صاحبة قصر «لابريد» وأرضها، وهو القصر الذى ولد فيه مونتسكيو .(المترجم)

وفى عـام ١٧٥٤ قـدَّم مـونـتـسكيـو «بعض التأملات حول الرسائل الفارسـية» شرح فيها «... أنه فى الروايات المألوفـة لا يُسمح بالاسـتطراد إلا إذا شكل هو نفسه قـصة جديدة، غير أن اسـتخدام شكل الرسـائل التى لا ينـاقش فـيـهـا اخـتـيـار الشخصيات ولا المقطوعات، لابد له من أن يناسب النوايا والمقاصـد أو الخطط المتصورة مقـدما، يكون للمؤلف ميزة استطاعته إدخال: الفلسفة والسياسة، والخطاب الأخـلاقى داخل الـقـصـة، وإمكان ربط كل شىء مـعا بسلسلة سـرية تظل خفـية، أو غـير مرئية إنْ صحَّ التعبير».

لا شىء يسر الجمـهور ويسعده، فى الرسائل الفـارسية، أكثر من عثوره على نوع غير متوقع من القصة.

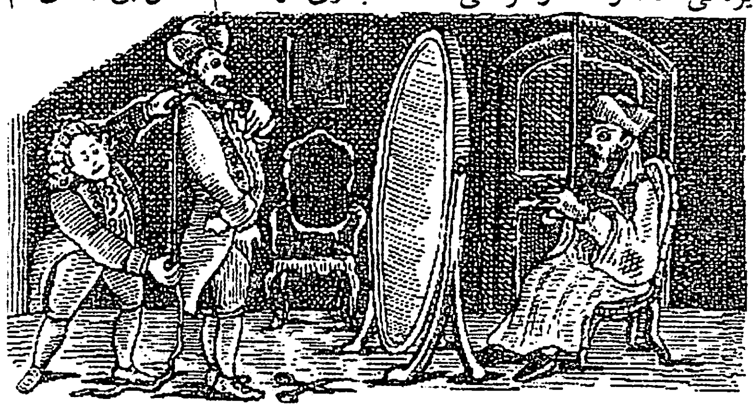


الكثير من الرسائل يصف الناس والمؤسسات فى باريس، لقد بدت بعض العادات المقبولة غريبة جدا فى أعين الزوار الفرس، أصحاب الذهن الساذج، لكه مفتوح، ولقد حاولا على الدوام التمييز بين ما هو محلى وخاص بالعرف، وما هو عام وكلى أو «طبيعى». ففى الرسالة رقم ٣٠ على سبيل المثال يكتب ريكا إلى إيبن Ibben عن رد فعل الباريسيين على الملابس والحلّة بوصفها علامات على الأعراف الاجتماعية «عندما وصلت إلى باريس كانت الأنظار تتطلع إلىّ كما لو كنتُ هبطت من السماء: فالشيوخ والشباب والنساء والأطفال كلهم يحبون



أن يرونى.. وخلاصة القول: إن الأنظار لم تتجه إلى أحد كما اتجهت إلىّ».

وقد حملنى ذلك على أن أخلع الثياب الفارسية وأرتدى الأوروبية لأرى هل يبقى فى سحنتى شىء غريب، وهذه التجربة عرفنى قيمتى الحقيقية، إذ أننى لما تخلصت من كل حلية أجنبية، قدرت تقديراً أدق، وكان من حقى أن أشكو من الخياط الذى أفقدنى انتباه الجمهور وتقديره فى لحظة واحدة وحرمتنى حلته اعتبارى، واهتمام الناس بى وكأنى لم



أكن شيئًا مذكورا(١).

(١) « .. فصرتُ أحيانا أقضى ساعة فى جماعة دون أن يلتفت إلىّ أحد أو يتيح لى فرصة أن أفتح فمى لكن إذا حدث عرضا أن يخبر أحد الجمع بأني فارسى سمعت حولى على الفور لفظا فيقول قائل: وى ! هل السيد فارسىّ؟ هذا أمر غريب، كيف يمكن أن يكون الإنسان فارسيا!». راجع الترجمة العربية سالفة الذكر ص ٧٠ ـ ٧١ .(المترجم)

لقد استطاع مونتسكيو أن يسخر من أعمدة المؤسسات القائمة مثل المراتب التصاعدية لوظائف الكنيسة.



وعندما أبدت السلطات الكنسية غضبها واستياءها كان مونتسكيو يقول إن الفرس هنا يكشفون عن جهلهم!

---

(١) يشير مترجم «الرسائل الفارسية» إلى أن المؤلف يقصد رجال محاكم التفتيش. راجع الترجمة العربية ص ٧٨ ، وإن كان ذلك يتعارض مع حديثه عن المسبحة فى الأسطر التالية .(المترجم)



(١) « .. بلغ الأمر إلى أن جعلهم يعتقدون أنه يشفيهم من شتى الآلام إذا لمسهم، فما أعظم قوته وسلطانه!» الرسائل الفارسية ترجمة أحمد كمال يونس ص ٥٤ ـ الناشر مكتبة سعاد الصباح ـ الطبعة الثانية عام ١٩٩٢ .(المترجم)

وما يثير القارئ بصفة خاصة هو المجموعة الغريبة الماجنة من أحداث القصة التى تنكشف تدريجيا لسلوك الحريم غير المنضبط الذى تركه السائح الفارسى وراءه، وفى رسالة مبكرة من أوزبك إلى كبير الخصيان يرثى، وإحدى زوجات أوزبك تتحسر على غيابه(١).



أنا أذكر تلك الأوقات السعيدة التى اعتدت أن تأتى فيها إلى أحضانى، ما أتعس امرأة لها مثل هذه الرغبات العنيفة عندما تحرم من الرجل الوحيد الذى كان يمكن أن يشبعها... عندما تترك لنفسها لابد من أن تقضى وقتها فى رغبة مجنونة غير مشبعة.

---

(١) الرسالة الأولى هى رسالة إلى كبير الخصيان وهى رقم ٢ ، ثم رسالة فاطمة زوجة أوزبك وهى الرسالة السابعة . (المترجم)

والرسائل الفارسـية هى أيضًا قصـة شهوانية مثـيرة عن الانفعالات الجنسـية المحبطة، وكلما واصل الفـيلسوفـان الفارسيـان رحلاتهمـا قارنا بين المحـرمات الجنسيـة وعادات الغرب بما لديهما من عادات ومحرمـات، ولسوء الطالع كلما طالت رحلات الفارسيين، زادت الاضطرابات بين الحريم الشرقى فى سراء السلطان.

ولقد رأى مونتسكيو بوضوح كيف أن نـظام الحريم كان ضربا من الاستبداد، ومن ثم فهـو مسـألة غيـر طبـيعيـة، فهـو يفسـد جميـع العـملاء، إذ يبـحث الخصـيان عن تعـويض عن حـرمانـهم الجنسى بأن يشـبـعوا شـهـوتهم إلى السلطة، فبعـد أن قامت «روكسانا» بقتل نفـسها فى باريـس بأن شـربت السـم ـ وهى الزوجـة الأثيـرة المفضـلة عند أوزبك ـ كتبت تقـول فى رسالـتها الأخيرة أنهـا قد خـدعت فى زوجها الطاغية.



لقد بيعت قصة مونتسكيو كما تباع الحلوى، فطبعت منها عشر طبعات فى عام واحد، وحظى مونتسكيو الذى كان قد تزوج عام ١٧١٧ بنجاح اجتماعى وغرامى ملحوظ.



فى عام ١٧٢٦ باع منصبه البرلمانى ، وقرر أن يكرس نفسه لكتابة أكثر جدية، وفى عام ١٧٤٨ بعد صراع مع العمى والصعاب المالية نشر كتابا من أعظم المؤلفات السياسية تأثيرا فى القرن الثامن عشر هو «روح القوانين» ثم كان له أثر أكبر فيما بعد.

ڤولتير يفر إلى إنجلترا

فرانسوا ماري آرويه (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) الذي كـان يحمل بعد ذلك اسم ڤولتير الذي ولد كأحد عامة الناس في باريس وتلقى تعليمه على يد الجزويت، وتمتع بنجاح أدبي في فترة مبكرة من حياته نظراً لكتابة تصوره لمأساة «أوديب» وملحمة «الهنرياد» التي تروي أساطير هنري الرابع ملك فرنسا المتسامح، ولقد منح ڤولتير لذلك معاشا من الملك لويس الخامس عشر، ومن الملكة، ومن دوق أورليانز، إلا أن ڤولتير اشتهر كذلك بقصائده الهجائية المقذعة من كل لون، فقضى بسبب ذلك ما يقرب من عام في الباستيل



في ١٧١٧ ، ولقدكان ڤولتير من الجرأة بحيث يتحدى أحد الأرستقراطيين ـ وهو الفارس دي روهان Ro-ham ـ لمنازلته.

ولما كان الفارس يشعر أن مثل هذا اللقاء أدنى من مستواه، فقد أرسل الفارس خدمه ليضربوني، ويبدو أن توسلاتي للقاء عادل لم تلق سوى آذان صماء، وقام الأصدقاء الأرستقراطيون للفارس بضم الصفوف

ولقد أقنع ذلك ڤولتير بضرورة الهرب من البلاد، فهبط إلى إنجلترا ٤ مايو عام ١٧٢٦ ليبدأ فترة سنتين ونصف من النفي الاختياري.

رسائل عن إنجلترا

لقد كانت الرسائل الفارسية تقدم فقط هجوما غير مباشر، وتلقى الضوء على مؤسسات وأعراف المجتمع الفرنسي، وعاملها الكثير من قرائها الأرستقراطيين على أنها سلسلة من المزاح، وكان مونتسكيو ـ قبل أى شيء آخر ـ «واحدا من هؤلاء»، أما ڤولتير فقد كان على العكس فردًا من عامة الشعب كتب ملاحظاته الخاصة كرحالة فى المنفى، ولقد نشر كتابه «رسائل عن الأمة الإنجليزية» عام ١٧٣٣، وظهر فى فرنسا تحت عنوان «الرسائل الفلسفية» فى السنة التالية.

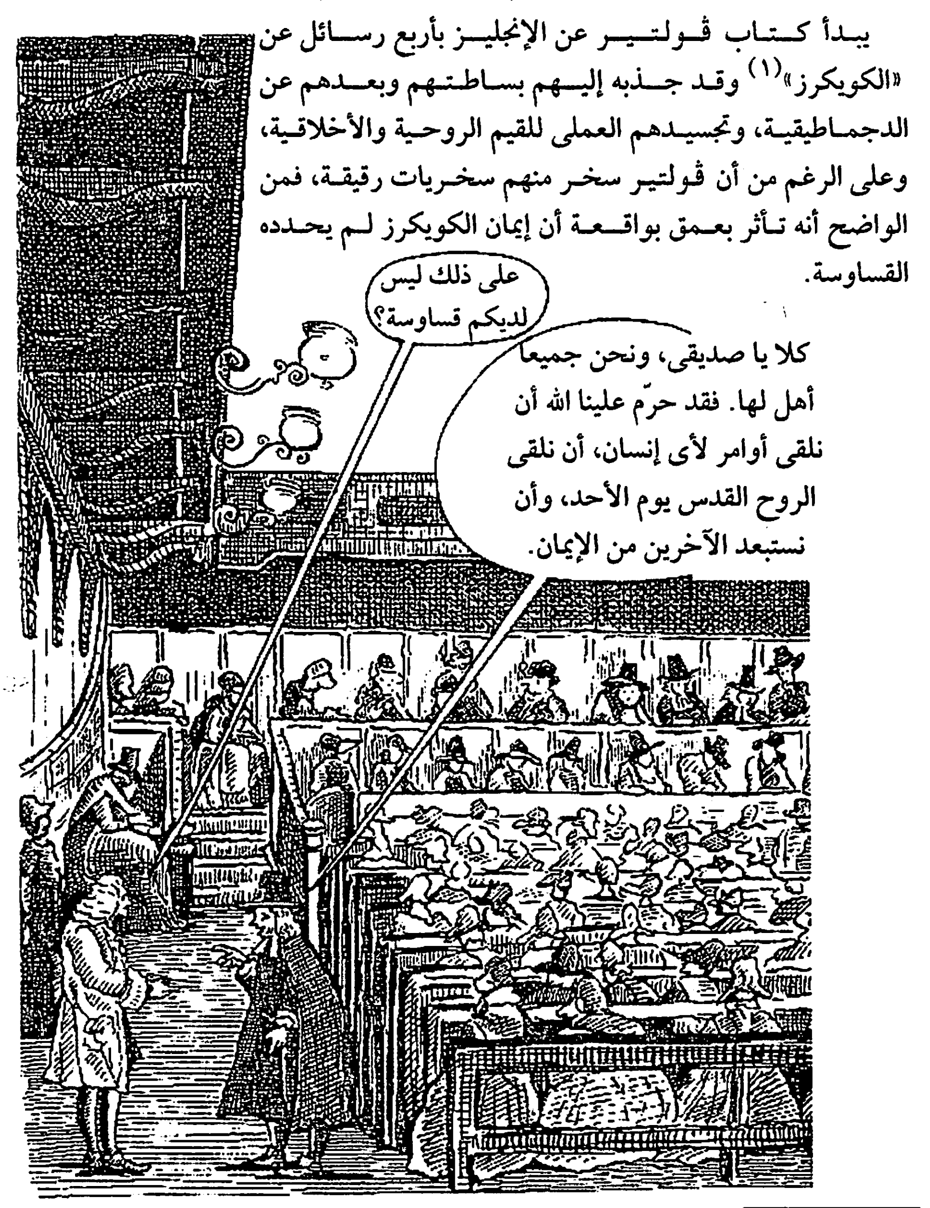


لقد استخدمت النموذج الإنجليزى للهجوم على النظام الفرنسى: الفشل وسوء الاستخدام الفرنسى، ولقد أذهلنى مدى التسامح الدينى، بصفة خاصة فى إنجلترا وليبرالية السياسة فى التجارة الإنجليزية وقوة العلم والفلسفة فى إنجلترا.

وصفت رسائل ڤولتير بأنها أول قنبلة تلقى على النظام القديم، وظهرت طبعات خفية فى فرنسا، وصدر الأمر باعتقال «ڤولتير»، وأحرق الكتاب رسميا، وحرم بيعه تحريما مطلقا.

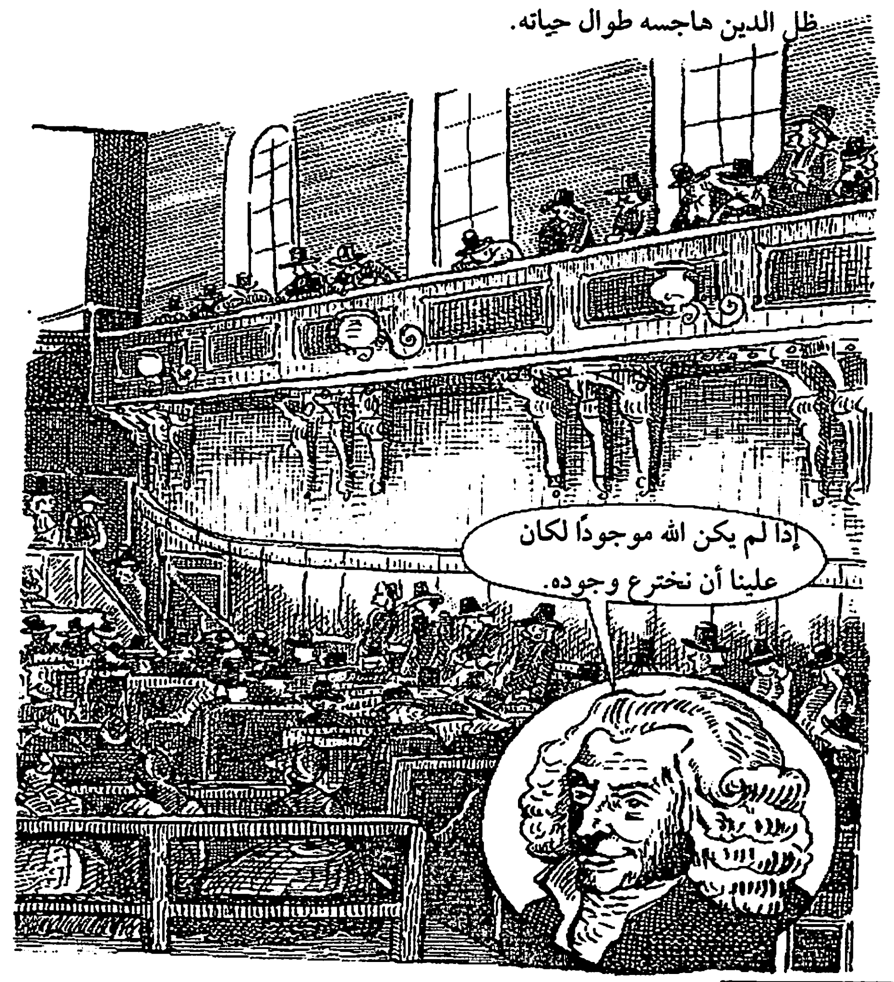
نظرة ڤولتير إلى الدين فى إنجلترا

يبدأ كتاب ڤولتير عن الإنجليز بأربع رسائل عن «الكويكرز»[١] وقد جذبه إليهم بساطتهم وبعدهم عن الدجماطيقية، وتجسيدهم العملى للقيم الروحية والأخلاقية، وعلى الرغم من أن ڤولتير سخر منهم سخريات رقيقة، فمن الواضح أنه تأثر بعمق بواقعة أن إيمان الكويكرز لم يحدده القساوسة.



(١) أو جماعة الأصحاب: فرقة بروتستانتية أسسها فى إنجلترا حوالى عام ١٦٥٢ جورج فوكس Fox احتجاجا على تسلط الدولة على الكنيسة، يعرفون أيضًا بالمرتعشين أو المرتجفين من عبارة فوكس «ارتجفوا لكلمة الله»، أو ربما بسبب اهتزازهم من نشوة الانفعال الصوفى فى أثناء العبادة. (المترجم)

لقد خصص ڤولتير رسالة لكل من: الأنجليكان[1]، والمشيخية[2]، وفرق دينية أخرى صغيرة، ولقد ظل ڤولتير طوال حياته معارضا لا يكل ولا يمل لتعصب الكنيسة الكاثوليكية، لكن ذلك لا يعنى أنه كان هو نفسه لا يكترث بالدين، بل على العكس لقد ظل الدين هاجسه طوال حياته.



(١) الكنيسة الأنجليكانية Anglican : كنيسة إنجلترا الرسمية يرأسها كبير أساقفة كانتربرى، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عندما سحب الملك هنرى الثامن اعترافه بسلطة البابا وأعلن نفسه رئيسًا أعلى لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤ . (المترجم)

(٢) الكنيسة المشيخية Presby Terians : كنيسة بروتستانتية يدير شئونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية، وكان كالڤن Calvin أول مَنْ دعا إلى الأخذ بهذا الأسلوب فى إدارة الكنيسة. (المترجم)

حرية الضمير والروح التجارية

كانت إقامة ڤولتير فى إنجلترا تتقطعها فترات قصيرة يعود فيها إلى فرنسا لرعاية مصالحه التجارية؛ لقد كان ڤولتير باستمرار رجل أعمال ثاقب النظر، كما كان مضاربا فى سوق الأوراق المالية، ومن هنا كان فى استطاعته أن يجمع القدر الكافى من المال من مغامراته التجارية، لتأمين استقلاله العقلى، ولتمويل أسلوب حياة رفيعة متأنقة، «التجارة التى أثرت المواطنين الإنجليز، قد ساعدت فى جعلهم أحرارا، وساهمت فى خلق عظمة الأمة ».

اذهب إلى سوق الأوراق المالية فى لندن وهو مكان أشرف من أماكن كثيرة فى البلاط الملكى، وسوف تجد ممثلين من جميع الأمم يجتمعون لتنمية الرخاء البشرى ، فها هنا: اليهودى، والمسيحى والمسلم، يتعامل الواحد منهم مع الآخر، كما لو كانوا من ديانة واحدة، والأشخاص الوحيدون الذين يعتبرونهم ملاحدة هم المفلسون...!



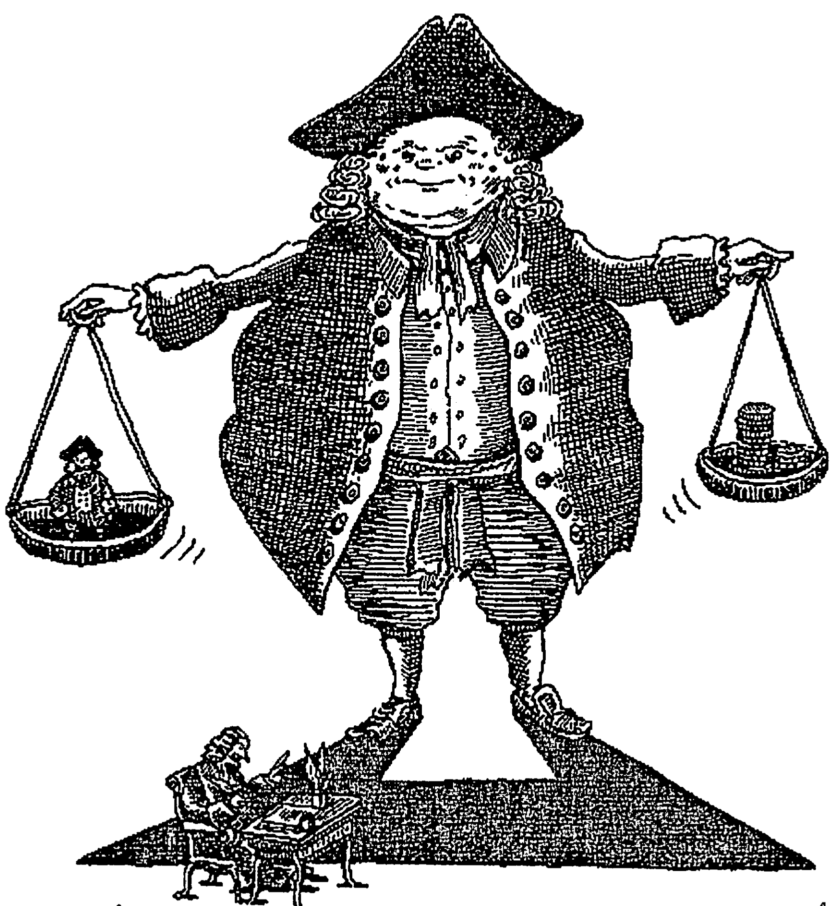
عن البرلمان

«الأمة الإنجليـزية هى الأمة الوحيـدة على ظهر الأرض التى نجحـت فى السيطرة على سلطة الملوك عن طريق مـقاومتـهم بجهـد وراء جهد حـتى أقامت فى النهـاية هذا النظام الرفيع من الحكومة، الذى يكون فيه الأمير، رغم أن لديه كل السلطة لفعل الخير والصالح العام، فـإن يديه مغلولتـان عن فعل الشر، وهو نظام أصـبحت فـيه الطبقـة الأرستقـراطية عظيمة بلا عجرفة وبلا تابع للسيد الإقطاعى، وفيه يشارك الشعب الحكومة دونما خلط أو اضطراب».

ويسخر ڤولتير من التصرفات المثيرة للضحك فى مجلس العموم، ومن أوجه القصور الأخرى فى الممارسات فى السياسة الإنجلـيزية، لكنه كذلك يعلن بوضوح إعجابه بالنظام السياسى الإنجليزى وما فيه من ملكية دستورية مقيدة.



وتطورت إنجلترا بالتدريج نحو المساواة أمام القانون، ونظام الضرائب الذى لا يُعفى منه إنسان، (وبعد بضعة عقود كان إعفاء الطبقة الأرستقراطية، وطبقة رجال الدين من الضرائب فضيحة أشعلت نيران الثورة الفرنسية).



لا يُعفى إنسان قط هنا من دفع ضرائب معينة لأنه ـ ببساطة ـ أرستقراطى أو من رجال الدين .. فأنت لن تسمع هنا عن عدالة عليا ومتوسطة وسفلى.

لقد بدأ مسترشبنج منذ فترة ليست بالبعيدة فى الحديث عن مجلس العموم بهذه الكلمات: «ملك الشعب الإنجليزى لابد من أن يصاب.. إلخ»، ولقد أحدث هذا التعبير الغريب عاصفة من الضحك لكنها لم تكن مربكة على الإطلاق، فكرر الكلمة نفسها فى نبرة حاسمة، ولم يعد ثمة أى ضحك.

القديسون الرعاة فى عصر التنوير

كان القديسون الرعاة فى عصر التنوير فى إنجلترا ثلاثة من الإنجليز هم: بيكون، ونيوتن، ولوك، ولقد خصص ڤولتير معظم رسائله الفنية الجادة لهؤلاء الثلاثة. كما أن ديدرو، ودالمبير قاما بإهداء الموسوعة إليه.



أمر توماس جيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦) فى عام ١٧٨٩ أن يوضع فى مكتبته صور لهؤلاء الثلاثة.

لقد وضعوا الأساس فى علوم الفيزياء والأخلاق لعصر الحداثة، هؤلاء الرجال أعظم ثلاثة عاشوا بلا منازع.

كان مونتسكيو وڤولتير من تلاميذ وأتباع الفلاسفة الإنجليز والرجال العظام فى إنجلترا، بدون الإنجليز كان العقل والفلسفة لايزالان فى طفولتيهما الكريهة.

فردرش ملكيور ڤون جريم [1].

---

(١) فردرش فون جريم (١٧٢٣ ـ ١٨٠٧): مفكر ألمانى وناقد أدبى رحل فى عام ١٧٤٨ إلى باريس معلمًا خصوصيا فى خدمة دوق أورليانز (١٧٥٥) حيث تطورت علاقاته بديدرو ـ ومدام «بيناى، وروسو». (المترجم)

أبو الفلسفة التجريبية

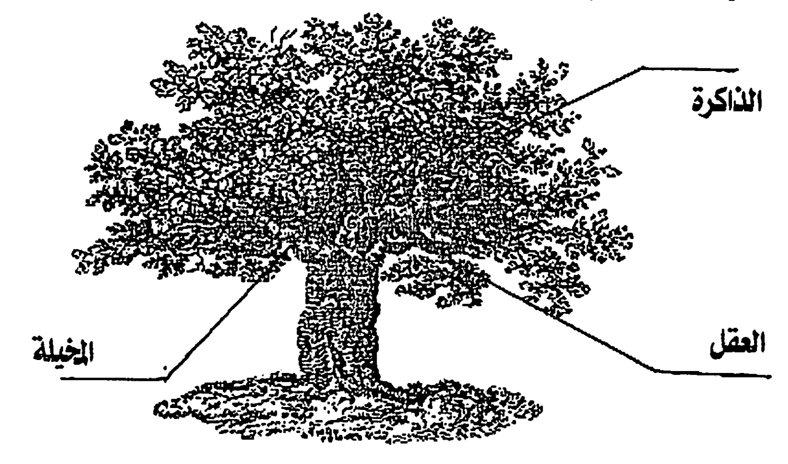
كان فرنسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) هو السلف العظيم لجون.لوك فى التراث التجريبى، وهو فيلسوف وسياسى إنجليزى، اعترف به على نطاق واسع على أنه «أبو الفلسفة التجريبية».



دافعت عن إصلاح عظيم فى المعرفة يقوم على الملاحظة المباشرة، رفضا للعبادة العمياء للسلطة، لصالح عالم التجربة الحسية المباشرة.

كان بيكون يشبه أقسام المعرفة بأفرع الشجرة، والأفرع الرئيسية فى شجرة المعرفة هذه مستمدة من الملكات الرئيسة فى الذهن: الذاكرة، والمخيلة، والعقل.

الذاكرة: مصدر المعرفة التاريخية. المخيلة: مصدر الشعر. العقل: مصدر الفلسفة.



السياسة عند جون لوك

امتد تأثير لوك بحيث جاوز الفلسفة، فكتاباته فى السياسة ألهمت أيضًا المصلحين فى عصر التنوير من أمثال: ديدرو،وجيفرسون، وآخرين. عاد جون لوك من منفاه فى هولندة بمخطوطة كتابه «رسالتان فى الحكومة»، وكتاب: «مقال عن الفهم البشرى» وقد نشرا معا عام ١٦٩٠ .

رضا الشعب وموافقته هما الأساس الوحيد لسلطة الحكومة، وليس للحكومات واجب آخر يجاوز ذلك الواجب الذى من أجله أقيمت فى البداية وهو: المحافظة على الحياة، والحرية، والملكية.

ويذهب لوك إلى أن الأمير (أو «أى شخص وارث فرد») عندما يستخدم سلطته بطريقة تعسفية، بدون موافقة الشعب، عندئذ يكون من حق الشعب الدفاع عن نفسه.. ويكون في ذلك تبرير للتمرد[١] لمواجهة الاستخدام التعسفى أو الاستبدادى لسلطة الحاكم.

(١) التبرير يأخذه جون لوك من كلمة التمرد نفسها التى تعنى بالإنجليزية Rebellion وهى تعنى الحرب من جديد، فهى مأخوذة من اللاتينية Bellum بمعنى الحرب والمقطع.. Re من جديد، فكأن الحاكم يعلن الحرب على الناس فيردون عليه بالتمرد أو بالحرب من جديد .(المترجم)

إسحاق نيوتن

الإنجازات العلمية التى قام بها إسحاق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) كانت هائلة، كان الحساب ـ حساب التفاضل والتكامل ـ وسيلة رياضية قوية طورها نيوتن كما طورها جوتفريد فلهلم فون ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) ولقد عرف علم الديناميكا الجديد فى تحفته الكبرى أو كتابه الرئيسى «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية»، الذى صدر عام ١٦٨٧ موفقًا بين دراسة كبلر لحركة الكواكب ودراسة جاليليو للحركة الأرضية.

لقد قدمتُ أوصافا رياضية محكمة لنظام الكون ولحركة الكواكب، واقترحت قانونًا كليا عاما للجاذبية، كما ذهبتُ إلى أن الفضاء الذى تسبح فيه الكواكب لا متناه.

وفى عام ١٧٠٤ صدر الكتاب العظيم الثانى لنيوتن وهو كتاب: «البصريات» الذى عرض فيه لنتائجه عن طبيعة الضوء، وينتهى بمجموعة من التخمينات والحدوس والاستفسارات ألهمت البحث العلمى طوال القرن الثامن عشر.



نيوتن للمبتدئين

لقد جذبت أعمال نيوتن جيشًا من المرٍّوجين والمبسطين للمعلومات، منهم ڤولتير ليس فى الرسائل عام ١٧٣٣ فقط، بل أيضًا فى كتابه «أصول فيزياء نيوتن» الذى ظهر عام ١٧٣٨.



وكثير من هذه الروايات الشعبية تصور الكون يعمل بطريقة آلية أكثرمما كان نيوتن نفسه يحب أن يصوره، وذهبوا إلى أن نيوتن يصور الكون المخلوق كله على أنه نسق مرتب ينظم نفسه.

من الواضح أن جمال الصيغة الرياضية عند نيوتن، وقوانين الحركة ـ وما إلى ذلك ـ فى أنها تقدم نظرة أشد بساطة للكون مما أراد نيوتن فى الحقيقة.

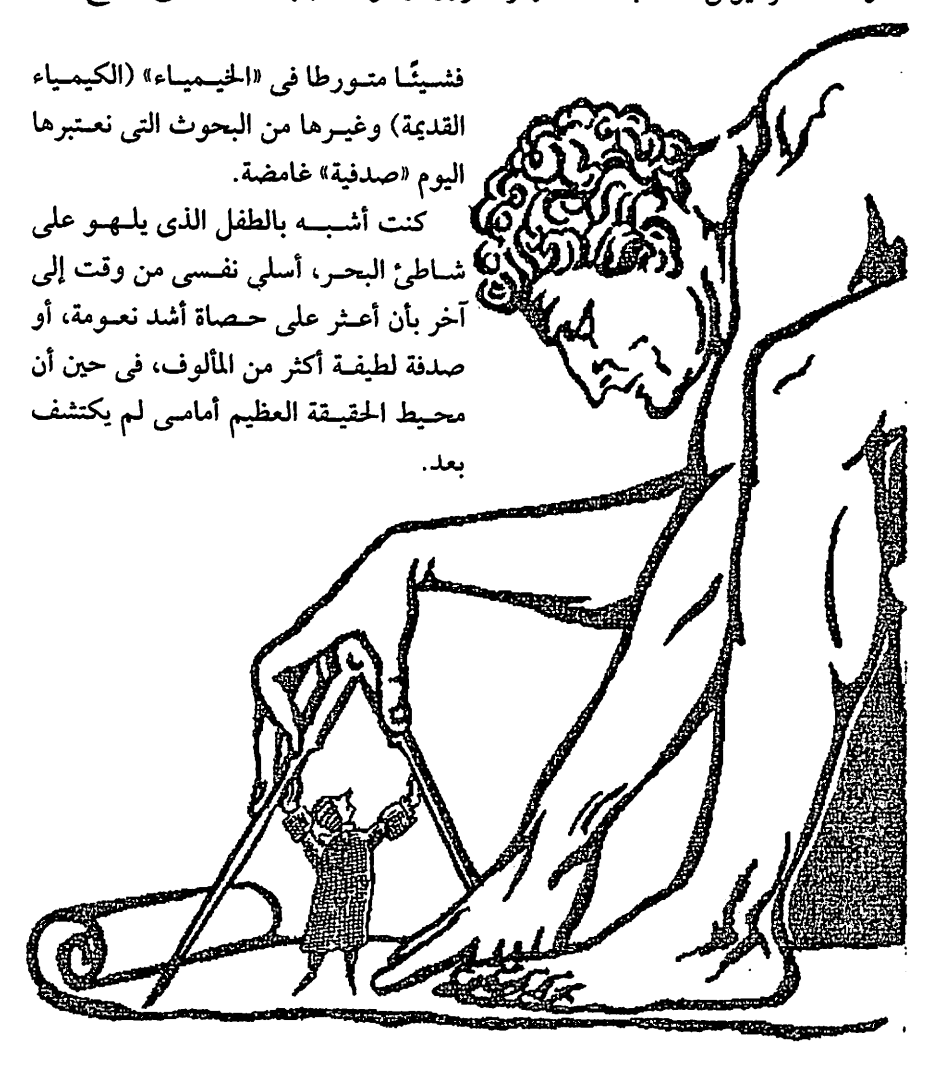
والواقع أن الجاذبية نفسها كانت قوة غامضة.

أما الإنتروبيا Entropy فقد عرَّفها نيوتن بأنها خاصية الأنظمة المغلقة.

(الإنتروبيا هى ميل النسق المغلق إلى النقصان، حتى يفقد كل طاقة، ومن ثم كل عضوية).

ولقد شعر نيوتن نفسه بأنه قد أظهر ضرورة وجود السبب الأول، حتى أصبح شيئًا فشيئًا متورطا فى «الخيمياء» (الكيمياء القديمة) وغيرها من البحوث التى نعتبرها اليوم «صدفية» غامضة.

كنت أشبه بالطفل الذى يلهو على شاطئ البحر، أسلي نفسى من وقت إلى آخر بأن أعثر على حصاة أشد نعومة، أو صدفة لطيفة أكثر من المألوف، فى حين أن محيط الحقيقة العظيم أمامى لم يكتشف بعد.



نيوتن: النموذج

كانت إنجازات نيوتن على درجة كبيرة من التقدم حتى إنها دفعت علم الفيزياء والعلوم الطبيعية خطوات إلى الأمام، لدرجة أن الكُتَّاب فى معظم حقول المعرفة الأخرى حاولوا تعميم هذا المثال واتخذوا من نيوتن نموذجا، فكان مثالاً للعالم الحق.

وبعد وفاة نيوتن بفترة قصيرة قام جى. تى. ديزجليرز[1] بالترويج لآراء نيوتن فى دائرة واسعة، وتنبأ بأوسع تطبيق ممكن لآراء نيوتن على القصيدة وكتب «نسق نيوتن للعالم: أفضل حكومة ممكنة» وكان ڤولتير يأمل أن يأتى يوم تنقل فيه مناهج العلوم الطبيعية لتطبق فى مجال التاريخ.



(١) ديزجيلرز (چون تيوفليس ١٦٨٣ ـ ١٧٤٤): مخترع إنجليزى ومحاضر شعبى فى الميكانيكا والبصريات . (المترجم)

فلاسفة التنوير

مونتسكيو، وڤولتير، وديدرو، وروسو، وبوفون[١] وكوندياك، وتورجو[٢]، وكوندورسيه، وهولباخ، وموريليه[٣]، وهلفتيوس، وجريم، ورينال[٤].

بدأ الرجال الذين يشكلون «مملكة الأدب» واضعين مثال مونتسكيو وڤولتير أمامهم، بدأوا فى إظهار ثقة جديدة بالنفس مع الاستعداد للقتال.

ففى باريس بمقاهيها ونواديها، وصحفها ومن فيها من باعة الكتب، انبثق نسل جديد هو الفلاسفة.



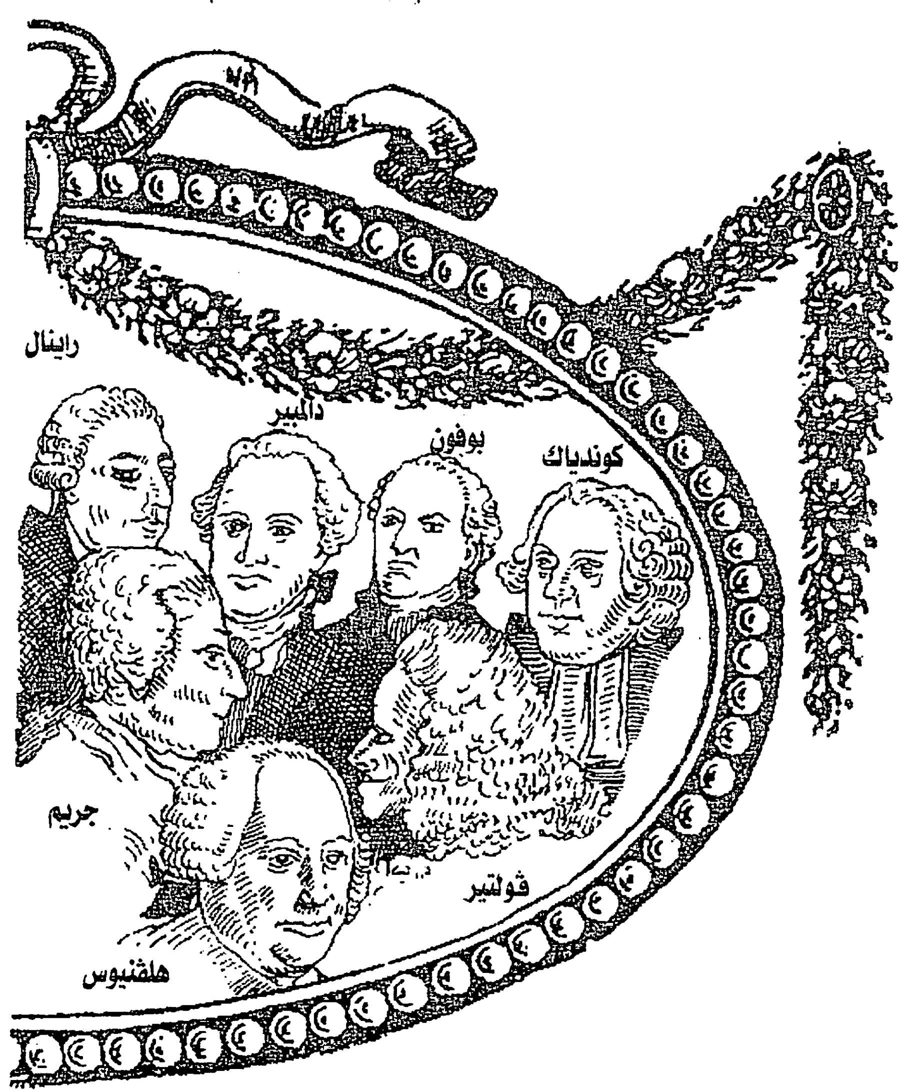
(١) بوفون Buffon (الكونت چورج لويس ١٧٠٧ ـ ١٧٨٨): كاتب وعالم طبيعة فرنسى، أشهر أعماله «التاريخ الطبيعى العام والخاص» وهو يقع فى ستة وثلاثين مجلداً (١٧٤٩ ـ ١٧٨٩)، له نظرات فى الأساليب الأدبية، ذهب فيها إلى أن الأسلوب مرآة عقل المرء. (المترجم)

(٢) تورجو(آن روبير چاك: ١٧٢٧ ـ ١٧٨١): سياسى وعالم اقتصاد فرنسى ووزير المالية (١٧٧٤ ـ ١٧٧٦) فى عهد لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء المدرسة الفزيقراطية التى دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد . (المترجم)

(٣)موريليه (أندريه ١٧٢٧ ـ ١٨١٩): عالم اقتصاد وأديب وفيلسوف فرنسى كان رائدا فى حلقة الفلاسفة، وقد اشترك مع ديدرو فى إصدار الموسوعة . (المترجم)

(٤) راينال Raunal (چيوم توماس ـ فرانسوا ١٧١٣ ـ ١٧٩٦): مؤرخ وفيلسوف فرنسى، وكان يعد رائدا بين المفكرين الأحرار فى فرنسا، كتب تاريخ البرلمان الإنجليزي، وتاريخ الأرض الواطئة. (المترجم)

كان فلاسفة التنوير من المثقفين، والأدباء لكنهم لم يكونوا من الفلاسفة المحترفين، وبالقطع لم يكونوا من الأكاديميين الذين يقبعون فى البرج العاجى، ولقد أحدث جو المناقشات والمنازعات والأفكار، والنضال والصراع .. فى باريس أفرز نخبة عصر التنوير أو الصفوة من المفكرين ، فها هنا كان الجناح المكافح فى عصر التنوير يتركز على: التفكير، والكتابة، والمناظرة، والمنازلة بين بعضهم البعض، وبين العالم.



كـان فلاسـفة التنوير كـهنة وجنود ورجـال الدعاية لروح الـعقل الجـديد، والتسـامح والتقدم، أصدر ڤولتير صيحة نداء تحثهم على الاتحاد.



إلا أن العقل العـبقرى المنظم حـقا للحركـة كان دينس ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤) ابن صانع سكاكين من الريف، الذى جـمع أكثر العـقول تطرفًا فى عصـره لخلق أعظم إنتاج تميز به عصر التنوير وهو: «الموسوعة».



وردَّ أعداء هذا التطرف الجديد بغضب وارتياب: «نـرجو فقط أن تقولوا لنا ماذا يعنى فيلسوف التنوير؟» هكذا تساءل الأب مولينيه.



الموسوعة تشرح ماذا يعنى فيلسوف التنوير.



المرأة المستنيرة

فلاسفة عـصر التنوير كانوا إخوة، مجموعـة متآلفة من الرجال، فقـد كانت السيدات مـسـتـبعـدات من النوادى ومقـاهى البـيوت الإنجليـزية تقـريبا (رغم أن الغـوانى لم يكن بعيدات تماما)، أما فى فرنسا فقد كانت أماكن اللقاءات الرئيسية هى الصالونات.



لقد كان مؤسسة تعمل للرعاية، بقدرما تعـمل للعواطف الجنسية، فى عصر كانت فيه الانفعالات العقلية والجنسية منفصلتين فى المجال المنزلى الخاص بالفرد.

كانت الحياة العقلية والاجتماعية فى فرنسا أقل كثيراً من أن تكون شأنا من شئون الذكور، إلا أن التفكير كان لا يزال إلى حد كبير وظيفة الغلمان، لقد أشاد ديدرو بدور النساء كمحاورات (أو مستمعات جيدات) فى تشكيل العادات العقلية لهذا العصر.



كانت الصالونات تعقد فى بيوت فلاسفة التنوير من أمثال البارون هولباخ، وهلفتيوس، أما جميع صالونات باريس الأخرى فقد كانت تديرها نساء من أمثال: مدام دى فند، ومدام جيوفرين، ومدام دى إسبيناس ومدام نيكر، وكان الأمر يتطلب قدرا كبيرا من المهارة والكياسة لإدارة الصالون بنجاح، وتحظى باحترام المثقفين والمؤلفين من أصحاب الأمزجة المتقلبة ، ولقد تجمع جيش الموسوعة الصغير لأول مرة فى صالون مدام جيوفرين.



سيدات مستنيرات

لم يكن يكفى أن تلعب المرأة دور المضيفة صاحبة الدعوة فى أحد الصالونات، فليست هذه هى الطريقة الوحيدة التى تشارك بها فى نشاط وإيجابية فى الاختمار والقلق العقلى فى ذلك الوقت، فقد كان هناك بين السيدات المفكرات الرائدات نساء متميزات.

مدام دى إبيناى (١٧٢٦ ـ١٧٨٣): كانت ضئيلة الحجم، حيوية، هشة المنظر مع أعين براقة، وقد سحرت ڤولتير وديدرو، وظلت لسنوات طويلة عشيقة فردرش مليكور جريم (١٧٢٣ ـ ١٨٠٧)، كما فتنت روسو أيضًا. رغم أنها كانت على وعى تام بحساسيته المرهفة وسرعة غضبه.



كانت مدام «دى إبيناى» مساهمة غزيرة الإنتاج فى صحيفة جريم Grimm «المراسل الأدبى» تمده بالمقالات الأدبية أو أخبار المسرح وعرض الكتب ومراجعتها، ومقالات فى السياسة والاقتصاد والفلسفة، وكذلك أبيات من الشعر الخفيف، وخلال أسفار جريم كان يترك لها مع ديدرو مسئولية الصحيفة، وفى كتابها «مذكرات مدام دى مونتيريه» جمعت معارضات أدبية ناقدة من المحادثات فى حفلات العشاء التى تمثل آراء وأفكار وأحيانا الكلمات العقلية، لفلاسفة التنوير.

كانت المركيزة إميلى دى شاتيليه (١٧٠٦ ـ ١٧٤٩) رفيقة ڤولتير لسنوات طويلة، وقد التقيا عام ١٧٣٣ عندما كان ڤولتير فى التاسعة والثلاثين من عمره وهى فى السابعة والعشرين، وكانت قد تزوجت لمدة ثماني سنوات وأمًا لثلاثة أطفال، وكانت سيدة ناضجة مكتملة مثقفة للغاية.



لم تترجم مـدام دى شاتيليه «نيوتن» فـقط إلى الفرنسية، كمـا عملت مع ڤـولتيـر، بل كتبت بطريقة مستقلة تماما مقالات موضوعات علمية.



فى سن الثالثة والأربعين كان لهـا عشيق جديد هو المركيز دى سانت لامـبير وكان فى السابعة والعشرين من عمره وقد حملت منه، وعلى الرغم من رعاية ڤولتير لها فقد ماتت بعد الولادة بوقت قـصير، وقد حزن عـليها ڤـولتيـر حزنا شـديدا وقال: «لقد فـقدت مَنْ ظلت صديقة لى طيلة خمسة وعشرين عاما. رجل عظيم: عيبه الوحيد أنه كان امرأة!».

القارئ والرقيب

لمنْ كان يكتب فلاسفة التنوير؟ كانوا يكتبون ـ فى المقام الأول ـ لزملائهم من الفلاسفة، فى شبكة الثقافة العالمية، لكنهم أرادوا كذلك نشر أنوارهم إلى جمهورعريض متنام من القراء.

كان لقرائنا شهية هائلة لأن يتعلموا عن طريق الملخصات، فنحن فى عصر «مختارت للقارئ» والمعاجم، والكتب للمبتدئين، وهناك أيضًا جهود مضنية فى الكتب غير المشروعة التى تغـذى الذوق بالأدب المكشوف، والفضائح والغواية. وقبل كل شىء فهذا هو عصر الإباحية.

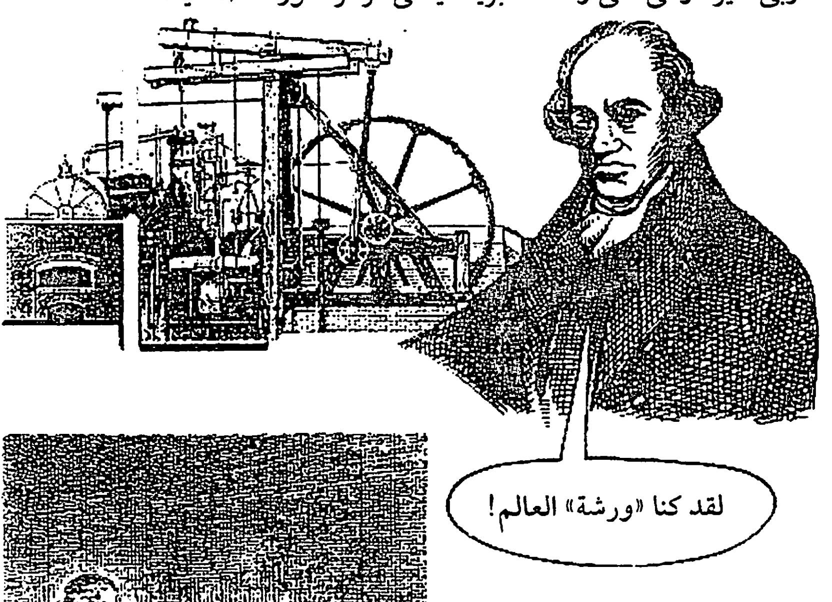
أما فى فرنسا فقد استطاع الجمهور الجلاد أن يحرق الكتب الممنوعة أو ينتهى بالناشرين أن يصبحوا رقيق سفينة(1).

كانت الرقابة غائبة فى إنجلترا وهولنده فى حين أنها ظلت تشكل خطرًا على الحياة العقلية فى بقية أوروبا، وكان النشر (الذى يقوم به فى العادة باعة الكتب) يتطلب تصريحا قانونيا من وزير العدل، وسرعان ما تعلم قضاة فرنسا أن حرق الكتب يروج بيعها؛ لهذا كانوا يفضلون مصادرة الكتب وسجن باعة الكتب مع غرامات قليلة بقدر المستطاع.

(1) رفيق السفينة Galley - Slaver هم العبيد الذين حكم عليهم بالتجديف طوال حياتهم فى إحدى السفن. (المترجم)

الصناعة والعلم

الإبداعات العلميـة فى تكنولوجيا الصناعة كثيرا ما كان يقوم بهـا مهندسون ارتبطوا بعـصر التنويـر فى إسكتلندا من أمـثال چيـمس واط J. Watt (١٧٣٦ ـ ١٨١٩) الذى ابتكر آلة بخارية فعالة، كـما ابتكر وحدة «قوة الحصان» أو «القدرة الحـصانية». ولقد بدأ عصر الآلـة البخارية عندما تحـالفت قوة البخار مع مـسابك الحديد فى حقـول الفحم فى منطقة «دربى شير» وهى التى وضعت بريطانيا فى مركز الثورة الصناعية.



أدرك القـراء المتعلـمون أهمـيـة التجـربة العلميـة ـ ووضع الأفكار موضوع الاختـبار عن طريق التـجـربة ، إلا أن الثـقــة الزائدة بالعلم أدت حـتى بأعظم الحكمـاء إلى الظن بأن التقدم سـرعان ما يؤدى إلى يقين مطلق. لقد كـان القرن الثامن عـشر من زوايا كثـيرة سـهل الانخـداع بطـريقـة مـرعـبـة، عـصـر الأشـخـاص الخـيـاليين، وأشـبـاه العلمـاء والدجـالين من أمثـال فرانز مـزمر (١٧٣٤ ـ ١٨١٥) الذى ادعى أنه يستطيع علاج الأمراض بقوة «الجاذبية الجنسية».

الموسوعة

أعظم ما يتميز به عصر التنوير، والأثر الباقى لهذا العصر هو الموسوعة، وقد كان ذلك فى الأصل بتفويض لترجمة ومراجعة «موسوعة إفرايم تشامرز» التى نشرت لأول مرة فى أدنبره عام ١٧٢٧.

وبعد أن أقلع الناشر الأول قام على أمر المشروع بنجاح دينس ديدرو وچان لوروند دالمبير (١٧١٧ ـ ١٧٨٣).



المجلد الأول من « الموسوعة أو من المعجم التحليلى للعلوم والفنون والحرف» ظهر عام ١٧٥١، ولقد استغرق الأمر عشرين سنة لإتمام الموسوعة ، واشتملت فى النهاية على ما يقرب من ٢٧٠٠٠ مادة مدرجة و ٢٥٠٠ صورة محفورة.

احترم اسم دالمبير كثيرا بسبب شهرته كعالم رياضيات، وإنْ كان ديدرو هو باستمرار الذى يعمل معظم العمل كما نجح ديدرو فى أن يجمع حوله مجموعة لامعة من المتعاونين تشمل عددا من فلاسفة التنوير من أمثال: مونتسكيو، وڤولتير، وشارل دى كلوز، وروسو، وصموئيل فورمى، وهولباخ، ومورليه، وأندريه توفيل دى بوردو، وچاك دى ڤوكانسون.



ثم بعد ذلك ساعده بمهارة واقتدار مهتد جديد للقضية، وهو رجل لا يعرف للتعب معنى: «شفاليه دى جاكور» (١٧٠٤ ـ ١٧٩٩) الذى كتب ـ مثل ديدرو ـ مئات من المقالات، وراجع أعمال جيش من الكتاب المأجورين الذين اشتركوا فى المصنَّف.

شجرة المعرفة

أعلن دالمبير فى مقاله الافتتاحى فى الموسوعة أنه يقدم للقراء نظرة شاملة لكل أفرع المعرفة المختلفة، وعلاقة الواحد منها بالآخر على شكل شجرة أنساب، ولقد أسسه بناء على الرسم التخطيطى الذى قدمه بيكون، وقد تبنته «موسوعة تشامرز»(١).



لكن لا مجال لأى شىء لا يصل إلى العقل عن طريق الحواس، وهبطت النظريات التقليدية للكنيسة إلى فرع صغيرجدا من شجرة المعرفة.

(١) أو القاموس العالمى للفنون والعلوم الذى نشر فى أدنبره عام ١٧٢٣. (المترجم)

من هم عظماء التاريخ؟

اقتبس دالمبير من قاضي القضاة فرنسيس بيكون على عهدته ،وقدّم قائمة جديدة للتاريخ ظهر فيها أن «عظماء التاريخ» لم يكونوا الملوك أو الغزاة الفاتحين، بل العلماء والفلاسفة.

وقدّم دالمبير قائمة قصيرة عن أعظم عظماء التاريخ: بيكون، وديكارت، ونيوتن، ولوك،لكنه قدّم أيضًا قائمة مختصرة للقادة من العلماء والفلاسفة تشمل: جاليليو، وهارفى، وهيوجنز بسكال، وفونتينل، وبوفون، وكونداياك، وڤولتير، ومونتسكيو، وروسو.



«المقال التمهيدى زاخر بالاستعارات البطولية العنيفة: كسر الأغلال، وتمزيق النقاب، وتدمير النظريات، واقتحام الحصون ... وعلى فلاسفة التنوير القيام بدور بطولى، وسواء أكانوا مضطهدين أم محتقرين فهم يقاتلون بمفردهم، ويناضلون من أجل الأجيال المقبلة الذين سوف يعترفون لهم بالفضل الذى حرمهم منه معاصروهم». روبرت دارنتون، الفلاسفة يقلّمون شجرة المعرفة.

أهمية الحرف أو التجارة

إحدى الطرق التى مارست الموسوعة بسببها تأثيرًا عظيمًا تشير إليها الكلمة الأخيرة فى عنوانها وهى «الحرف Métiers »، لقد شرعت الموسوعة فى إنصف ليس الفنون والعلوم فقط، بل أيضًا الحرف ومهارات التجار والصناع.

لقد كان دريدو نفسه ـ وهو ابن صانع السكاكين ـ مسئولا مسئولية كبيرة عن مكونات هذا المشروع ، لقد سافر وعبر فرنسا ليلتقى بالصناع والحرفيين وليتعلم طرقهم.



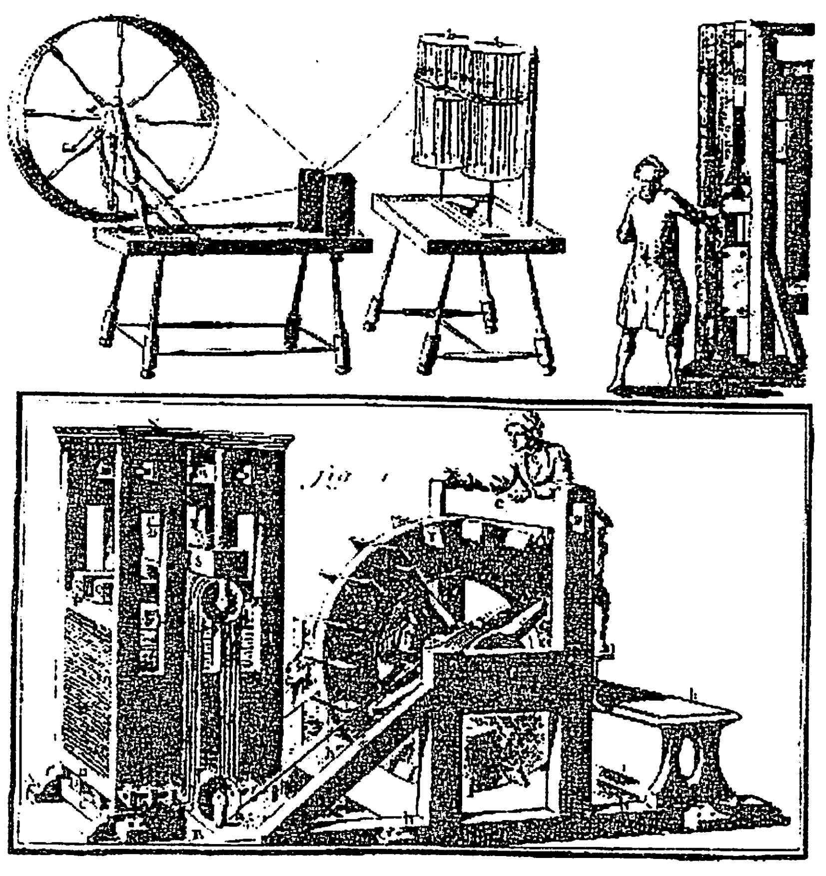
فى مقاله عن علم الرنوك Heraldry[1] وهو يرتبط بوساوس الأرستقراطية لاحظ الرجل النبيل شيفاليه دى چاكورت أنه لا توجد نشرة واحدة عن فن صناعة القمصان، والجوارب، والأحذية، والخبز، وكانت الموسوعة هى العمل الأول والفريد الذى وصف هذه الفنون والصناعات المفيدة للإنسان، فى حيث إن كتاب التجارة زاخر بالكتب عن العلم العابث السخيف عن شعارات النبالة.

(١) علم يتعلق بفن الشعارات وتصميمها لاسيما شعارات النسب. (المترجم)

الميتافيزيقا والآلات

التفرقة التقليدية بين الفنون «الحرة» والفنون «الآلية » كان لها تأثير سيئ فى انحطاط الناس النافعين جدا والمحترمين جدا، وكما لاحظ ديدرو «كم كان حكما غريبًا .. لقد طلبنا من هؤلاء الناس أن ينخرطوا فى أعمال نافعة ثم ازدرينا الناس النافعين».

لقد قارن ديدرو بين أعمال الآلة المعقدة بالنظام الميتافيزيقى المعقد، ولفت الأنظار إلى الطريقة التى تترسب بها المعرفة والتجارب البشرية فى الآلات العملية.



فى أى نظام فيزيقى أو ميتافيزيقى نجد نجاحا وذكاء، واتساقا وتميزا أكثر من استخلاص الذهب، أو صناعة الجوارب، أو هياكل صانعى الضفائر، أو صانعى الشاش، وتجار الأقشمة، أو عمال الحرير...؟

ذروة النجاح

مجلدات الموسوعة باهظة الثمن خلبت ألباب المجتمع الراقى، وابتكر ڤولتير قصصا ليوضح تأثير الموسوعة على الطبقة الأرستقراطية، بل على الملك نفسه.

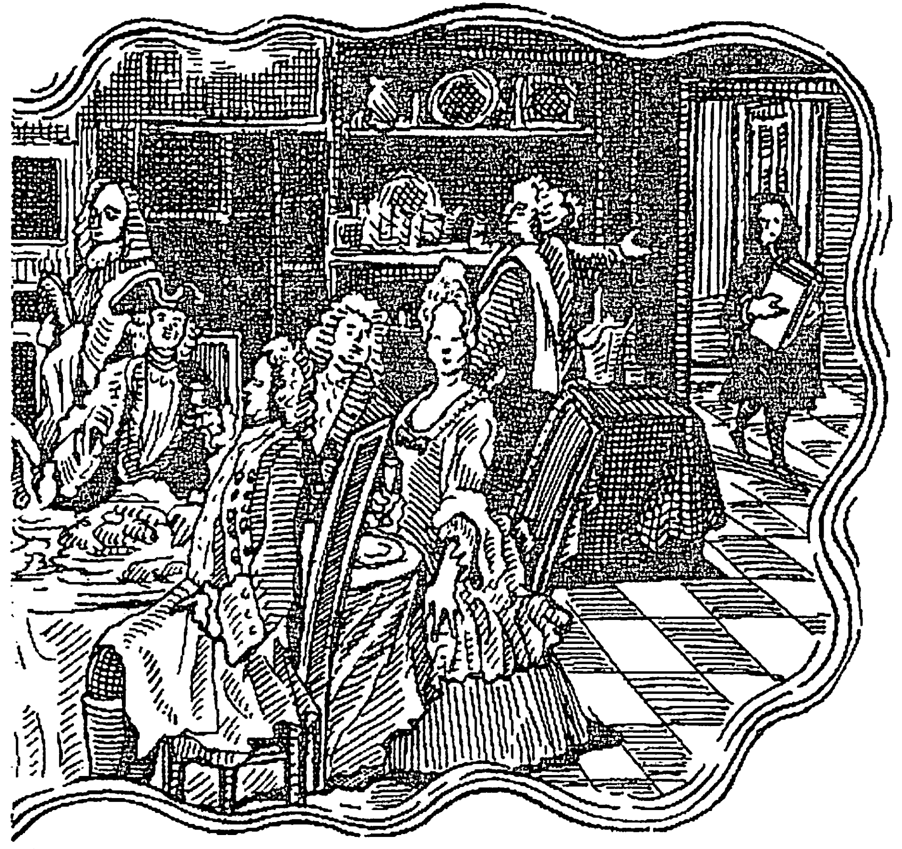
«فى إحدى الليالى كان الملك يتناول طعام العشاء فى تريانون Trianon [١] مع بعض أصدقائه المقربين، وتطرق الحديث إلى رياضة الصيد وإلى البارود..».



«لا يهم فسرعان ما نعالج المسألة، وفى لمحة كان خدم المنزل يهرولون لإحضار الموسوعة...»

(١) قصر صغير من قصور فرساى.(المترجم)

وفى الموسوعة تحت مواد: بارود، وروچ (أحمر شـفاه)، وغزل الحرير، كان هناك كل ما نحتاجه، وسرعان ما انقض الجـميع على مجلدات الموسوعة، وما هى إلا لحظات حتى وجـدوا كل مـا يريدون، ووجـد أولئك الذين يفكرون فى القـانون مـا يريدونه تمامـا من الناحية القـانونية، أما الملك فقد أراد أن يعرف شـيئًا عن الامتيـازات الملكية. وبينما الكل مشـغول على هذا النحو فى تقليب الصـفحات، صاح الكونت دى س.. بصـوت مرتفع سمعه الجميع...



« سيدى: أنت حقا محظوظ بأن يكون لديك فى منطقتك رجال قادرون على السيطرة على جميع الفنون وتناول المعرفة للأجـيال القادمة، فكل شىء هنا من الطريقة التى يصنع بها الدبوس، إلى الطريقـة التى تحشو بها وتطلق المدافع، كل شىء من أضـأل الأشياء إلى ما لا نهاية، إلى أكبر الأشياء إلى ما لا نهاية».

الهجوم على فلاسفة التنوير

لم يكن الترحيب بالموسوعة عاما وكليا، فقد واجهت مجموعة الفلاسفة التى تعمل بالموسوعة معارضة شرسة، فقد كتب المعارضون من أمثال: إيلى فريرون، وشارل باليسو، ويعقوب نيقولا مورو، مقالات وسخريات لاذعة، واتهم اليسوعيون الموسوعيين بالبيلاجية Pelagianism [(١)]. فى عام١٧٥٢ بعد نشر أول مجلدين من الموسوعة كانوا يقنعون الملك بمصادرتها.



وفى عام ١٧٥٧ أبلغ الصحفى «فريرو» الرقيب الأول ماليشيرب عن ديدرو.

.. وكان رأس الفتنة لمجموعة كبيرة؛ فقد كان رئيس جماعة متعددة تزداد وتتكاثر كل يوم عن طريق الدسائس والمؤامرات.

«وفى عام ١٧٦٠ كتب باليسو كوميديا عنوانها «فلاسفة التنوير»، هجا فيها روسو بكلام ساخر ووصفه بالمتوحش الذى يشبه القرد، كما سخر من هلفتيوس سخرية مرة وكذلك من ديدرو، ودوكلوس».

... عصابة من المنافقين الذين لا مبادئ لهم، استغلوا مجموعة من السيدات العاطلات الساذجات للترويج لمؤامرات ومخططات طنانة ومرعبة.

---

(١) مذهب الراهب الإنجليزى Pelagius الذى ينكر توارث الخطيئة الأصلية .(المترجم)

أزمة عام ١٧٥٨

ترابطت ثلة فلاسفة التنوير بطريقة ملحوظة أكثر عندما خضعت بصورة حقيقية للتهديد.

وفي عام ١٧٥٨ أسهم دالمبير بكتابة مقال من جنيف ذهب فيه إلى أن دولة المدنية - هذه المزدهرة - تحسن صنعا لو أنها رفعت الحظر عن المسرح داخل جدرانها، ويبدو أنه ذهب أبعد من ذلك وتساءل عن استقامة لاهوتيي المدنية، مما نتج عنه إعجاب متزايد. أما برلمان باريس فقدحرَّم الموسوعة.



«العاصفة التى هبت حول كتاب هلفتيوس «عن الروح» عام ١٧٥٨، والتحريم الذى صدر ضد موسوعة ديدرو فى العام التالى، أدى إلى تلاحم فلاسفة التنوير فى حزب، أكثر من صيحات ڤولتير الهستيرية ودعوته إلى الاتحاد. فالنقاد الذين حاولوا تدمير الحركة لم يفعلوا شيئًا سوى تقويتها ». بطرس جاى.

ماليشرب أو مسيو جيوم

كانت الموسوعة محظوظة إلى أقصى حد فى هذه اللحظة من الأزمة التى تهددت المشروع كله؛ ذلك أن أحد أصدقاء الموسوعيين عينه والده ـ المستشار الجديد لفرنسا ـ فى منصب الرقيب، واستمر كرتيان جيوم لامونون دى ماليشرب (١٧٢١ ـ ١٧٩٤) فترة طويلة فى منصب متميز، كرجل دولة ليبرالى، وكرجل شجاع مستنير.



وقدَّم ماليشرب فى مناسبات كثيرة الحماية لـ «ديدرو» ودالمبير من وراء الستار . وفى عام ١٧٥٢ صدر أمر ملكى بحظر أول مجلدين فى الموسوعة، كما صدر أمر باحتجاز كل المواد واللوحات التى لم تنشر، ودعا ماليشرب ديدرو إلى إخفاء المخطوطات الموجودة بحوزته فى مكان أمين .. وآمن مكان فى رأيه هو منزل ماليشرب نفسه.

الملك: ما له وما عليه

عندما جرد الملك برلمان باريس من جميع سلطاته القانونية فى عام ١٧٧١ وعين بدلا منه «مجلسه الأعلى» خطر فى بال ماليشرب إصدار«بيان احتجاج» يدعو فيه «مجلس الأمة» إلى الانعقاد. وفى السنوات الأخيرة «للنظام القديم» أصبح«مسيو جيوم» من أكثر الناس المحبوبين فى فرنسا؛ نظرا لدوره الرئيسى فى تشجيع الإصلاح.



وحتى وهو رئيس لإدارة القصر الملكى ظل يرتدى ملابس رثة فى تحد متعمد لإتيكيت قصر فرساى، فقد كان شغوفًا للغاية بالتوفير والاقتصاد والإصلاح ليتناسب مع رأى البلاط فى تلك الأيام، شعر بأنه مضطر للاستقالة.

مغامرات مسيو جيوم

كان الإبعاد المنتظم من الوظيفة (كعقاب لاستقلال ذهنه) قد أمد ماليشرب بالوقت للانغماس فى رسالته الحقيقية: دراسة علم النبات.



وفى عزلته فى قصره أقام أوسع حديقة علمية فى فرنسا وأصدر أربعين مجلدا عن الأعشاب (مذكرات نباتية).



وفى عام ١٧٧١ عثر ليشرب على جثة زوجته، فى الغابة قرب المنزل؛ فقد قتلت نفسها ببندقية.

---

(١) كارل لينيوس (١٧٠٧ ـ ١٧٧٨): عالم نبات سويدى يعتبر مؤسس علم النبات الحديث. قسّم النباتات إلى شعب، وطبق ذلك على الحيوان أيضًا .(المترجم)

كان ليشرب يعتقد ـ مسايرا فى ذلك المبادئ السياسية لعصر التنوير ـ أن كل إنسان ـ حتى الملك ـ ينبغى أن يخضع للقانون وأن يتمتع بمزاياه.



وكانت النتيجة أن انتهت حياة ليشرب على المقصلة.

دينس ديدرو

ميول ديدرو النبيلة كثيرا ما أزعجت والده، إلا أن صورته أمام نفسه ككاتب ومثقف، تشكلت ـ بالقطع ـ على احترام قيم والده: صـانع السكاكين، ولقد فهم ديدرو أن الكتابة صنعة أو حرفة تتطلب العمل الشاق والنظام.



ظل ديدرو باستمرار على علاقة ممتازة بأخـته العانس التى شوهت وجهها واضطرت إلى تركيب أنـف صناعى بقية حـياتهـا، وكان لديدرو شقـيقة أخـرى أصبـحت بإرادتها راهبة، ثم أصيبت بعـد ذلك بالجنون وماتت فى الثامنة والعشرين من عمرها. أمـا شقيقه ديديه فقد كان فى البداية قسيسا ثم أصبح بعد ذلك قمسا فى كاتدرائية.

ماذا يطلق هؤلاء المسيحيون على الكمال الإنجيلى؟ لا شىء سوى الفن الميت للطبيعة الخانقة، وكـان يمكن لديديه أن يكون صديقا جـيدا، وأخا جيدا، لولا أن المسيح أمره أن يسحق كل هذه التفاهات تحت قدميه.

التاريخ السرى لروحه

فى عام ١٧٤٢ تزوج ديدرو ـ سرا وضد رغبة والده ـ من فتاة فقيرة لكنها جميلة، هي أنطوانيت شامبيون، ولم يبلغ سن الرشد سوى ابن وحيد لهما هو أنجيليك. مدام ديدرو كان أصدقاؤها يعتبرونها امرأة صعبة المرأس إلا أن ديدرو ظل مخلصا لها على طريقته.

وفى عام ١٧٥٥ التقى بالحب العظيم فى حياته صوفى ڤولاند.



وكان يقدر فيها صراحتها ووضوحها فى التعبير عن نفسها، واستمرت علاقتهما ربع قرن، ولم يفصلهما سوى موتها عن ثمان وستين عاما.



ديدرو والأصدقاء

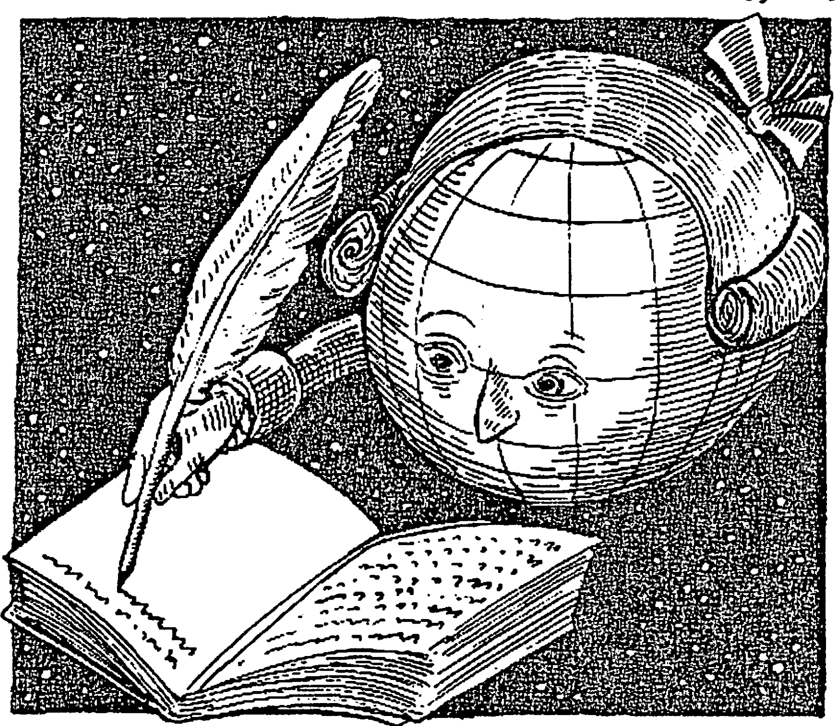
«ولدتُ كثير الكلام لا أميل إلى الكتمان بقدر المستطاع ». لقد كان ديدرو متحمسا لدرجة نسيان نفسه، يمكن معرفته بطريقة مذهلة ، ويريد أن يكون مهتما بأى شيء على نحو مطلق، ويمكن أن تكون له نظرية عن ذلك. كان ديدرو متحمسا ومتحدثا لا يرتوى، يذرع الحجرة جيئة وذهابًا بلا توقف، ويخلع شعره المستعار، إذا اشتعل حماسا لموضوع ما..

لمصلحتى ولمصلحة أصدقائى كنتُ أقرأ ، وكنت أكتب وأتأمل، وأصغى، وأنظر، وأشعر، وفى غيابهم كان إخلاصى يرد كل شيء إليهم، وكنت أحلم، بلا توقف، بسعادتهم ... ومن أجلهم كنتُ أركز فى استخدام كل حواسى، وكل ملكات ذهنى وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله كان هناك فى خيالى وحديثى تحسن ضئيل فى الأمور مع قدر من المبالغة. وكانوا أحيانا يلوموننى على ذلك: الأوغاد ناكرو الجميل!



ما المقصود بالموسوعة؟

كان هناك مقال ممتاز عنوانه «الموسوعة» يُعلم فيه ديدرو المشتركين أن الكلمة يونانية الأصل: وهى تعنى «الارتباط المتبادل لكل معرفة»، أقرب إلى الطلسم أو التعويذة نجدها حاضرة فى الكثير من كتابات ديدرو. «والحق أن الهدف من الموسوعة هو تجميع كل المعارف المتناثرة فوق ظهر الأرض؛ لكى نقدم خيوطها العامة وبنيتها للناس الذين نعيش معهم، وننقل ذلك إلى أولئك الذين سيأتون من بعدنا، حتى يكون عمل القرون الماضية مفيدا للقرون اللاحقة».

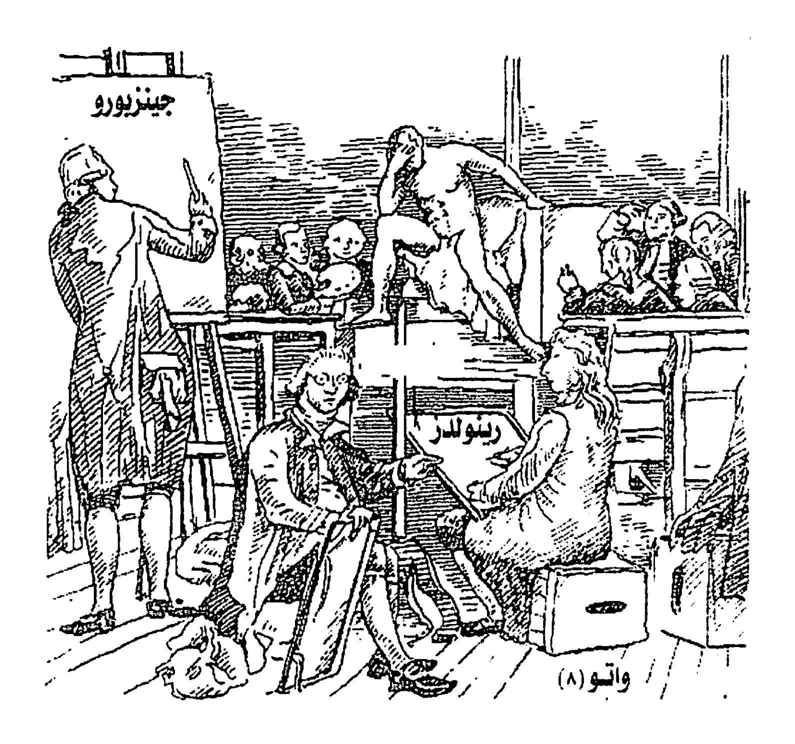


إن محاولة إعداد «موسوعة» هو عمل ينتمى إلى العصر الفلسفى حسب، العمل الذى يذهب إلى أن كل شيء لابد من فحصه ومناقشته وبحثه بغير استثناء، وبغض النظر عن مشاعر أى إنسان، ولابد لنا من تحطيم الحواجز التى لم يضعها العقل أبدًا، وأن نعيد إلى الفنون والعلوم الحرية التى هى ثمينة ونفيسة بالنسبة إليها.

لقد دفع القرن الماضى العلوم والفنون على قدر ما تستطيع أن تذهب.. ومهمة القرن الحالى هى تجميع هذه الإنجازات فى جسد واحد ونقله إلى الأجيال القادمة.

الفن فى عصر التنوير

اللوحات الأخلاقية لوليم هوجارت (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤)[١] تقارن بقصص ريتشاردسون وفيلدنج من حيث ثراء معلوماتها، ولقد كانت السخرية المرئية الشعبية تراثا واصله توماس رولاندسون (١٧٥٦ ـ ١٨٢٧)[٢] ، وجيمس جيلراى (١٧٥٧ ـ ١٨١٥)[٣]،



(١) وليم هوجارت (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤) : رسام إنجليزى تغلب على كثير من أعماله روح النقد الاجتماعى اللاذع. من أشهر لوحاته : «زواج على الموضة» فى ست لوحات. (المترجم)

(٢) توماس رولاندسون (١٧٥٦ ـ ١٨٢٧) : رسام كاريكاتير إنجليزى استقر فى لندن لرسم لوحات وصور الأشخاص عام ١٧٧٧ رسم سلسلة من اللوحات بعنوان: «رحلات دكتور سنتاكس». (المترجم)

(٣) جيمس جيلراى (١٧٥٧ ـ ١٨١٥): رسام كاريكاتير إنجليزى، وقد اشتهر بصفة خاصة بسبب لوحاته السياسية التى يسخر فى كثير منها من الأسرة المالكة. (المترجم)

وتومـاس جـينزبورو (١٧٢٧ ـ ١٧٨٨) [١] ويشـوع رينولدز (١٧٢٣ ـ ١٧٩٢)[٢] الذى رسم صوراً لـلأثرياء من رعاة الفنون الذين كـانت اهتمامـاتهم العمليـة توضحـها لوحات الحـصان التى رسـمها چورچ ستبس (١٧٢٤ ـ ١٨٠٦)[٣] واللوحات العلمـية والصناعية التى رسمها چوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ ـ ١٧٩٧)[٤].

أما الفن فى إيطاليـا فهو يعكس أمجاد الماضى فى عـصر النهضة وعـصر الباروك فى تحف فنية طوبوغـرافية لـ : أنطونيو كـاناليتو (١٦٩٧ ـ ١٧٦٨)[٥] وجيام باتسـتا تيابولو (١٦٩٦ ـ ١٧٧٠)[٦] تصور الأطلال القـوطية وكذلك الـسجون التى تخـيلها جيـوفانى باتسـتا بيرانزى (١٧٢٠ ـ ١٧٧٨)[٧] التى تكشف عن جـانب الخيـال المظلم فى عـصر التنوير.

---

(١) توماس جينز بورو (١٧٢٧ ـ ١٧٨٨) : رسـام إنجليزى يعتبر أحد أعـظم الرسامين البريطانيين فى القرن الثامن عـشر، من أشهر لوحاته «حـديث فى حديقة» عام ١٧٤٦ و«السيـد والسيدة آندروز» ١٧٥٠ و«عربة الحصاد» عام ١٧٦٧. (المترجم)

(٢) السيـر يشوع رينولدز (١٧٢٣ ـ ١٧٩٢): رسـام إنجليزى يعـتبـر عند بعض النقاد أعظم الـرسامين الإنجليز فى كل العصور من أشهر لوحاته «سن البراءة» و «نيللى أوبريان». (المترجم)

(٣) چورچ ستبس (١٧٢٤ ـ ١٨٠٦): رسام إنجليزى نشر «تشريح الحصان» عام ١٧٦٦ الذى استخرج منه نقوشا على ألواح كثيرة، لاسيما لوحاته الدقيقة عن الخيل. «المترجم»

(٤) جـوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ ـ ١٧٩٧): رسـام إنجـليـزى مـشـهـور بلوحـات عن «ضـوء الشموع» و«بجوار المدفأة». (المترجم)

(٥) أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ ـ ١٧٦٨): رسام إيطالى من مـواليد البندقية عُنى بتـصوير المدن ومظاهر الحياة فـيها وبخاصة فى البندقـية وإنجلترا، من أشهر لوحـاته «القناة العظيمة» و«إيتون وكنيسـتها». (المترجم)

(٦) تيابولو، جيوڤانى . باتستا (١٦٩٦ ـ ١٧٧٠): رسام إيطالى أشهر لوحـاته الجصّية الضخـمة التى زين بهـا عددا من القصـور والكنائس ، فى أعـماله أصـالة متمـيزة من آثاره «أنطـونيو وكليـوبترا» (المترجم)

(٧) بيرانزى، جيـوڤـانى باتستا (١٧٢٠ ـ ١٧٧٨): مـهندس ورسـام إيطالى اشتـهـر بتصـوير المواقع الرومـانية الكلاسـيكيـة والمعاصـرة وقـد أسهـمت رسومـه المعـمارية الكلاسـيكيـة فى نمو الحركـة الكلاسيكية الجديدة فى القرن الثامن عشر.(المترجم)

(٨) واتو، چان أنطوان (١٦٨٤ ـ ١٧٢١) : رسام فرنسى، عـدّه بعض النقاد مؤسس المدرسة الفـرنسية فى الرسم، عُنى بتـصوير الوجـوه والمناظر الطبيـعيـة، من أشهـر أعماله «الكـوميديون الإيطـاليون» و«طعام الفطور فى الهواءالطلق» و«اللامبالى» . (المترجم)

الأرستقراطية الفرنسية الرائعة وما فيها من إفراط وإسراف روّج لها رسامو الركوك[1] من أمثال : أنطوان واتو (١٦٨٤ ـ ١٧٢١) وفرانسوا بوشيه (١٧٠٣ ـ ١٧٧٠)[2] . ولقد كتب ديدرو عن الرسامين الجدد الذين كانوا يعرضون فنهم فى صالونات باريس، وكان فنه فى النقد يمزج بين الأحكام الأخلاقية (كان يعتقد أن بوشيه كان غير أخلاقى) والأحكام الجمالية، ولقد كان يعجبه من بين الفنانين چان سيمون شاردان (١٦٩٩ ـ ١٧٧٩) [3]وچان بابتست جروز (١٧٢٥ ـ ١٨٠٥)[4] وچان أوتورو فراجونا ، (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦) [5] الذى تطلع إلى رؤية أخلاقية جديدة يمكن أن تتعرف على الناس والأحداث فى موازاة مع نظراته لأشكال الدراما الجديدة.

وكان مصطلح علم الجمال أو الإستاطيقا قد صاغه المفكر الألمانى أ. ج. بومجارتن (١٧١٤ ـ ١٧٦٢) تلميذ الفيلسوف كريستال ڤولف (١٦٧ ـ ١٧٥٤) وقد نشر بومجارتن كتابه عن الإستاطيقا عام ١٧٥٠. أما علم الآثار وفن التاريخ فقد أسسها يوحنا يواخيم ڤنكلمان (١٧١٧ ـ ١٧٦٨) الذى شرع مع الرسام الألمانى أنطون روفائيل مينجز (١٧٢٨ ـ ١٧٧٨) فى إحداث أسلوب ثورى لمذهب الكلاسيكية الجديدة فى روما حوالى عام ١٧٥٠. ولقد أثرت كتابات الإيرل شافتسبرى (١٦٧١ ـ ١٧١٣) تلميذ لوك فى المناقشات حول التذوق، كما أثرت فى بحث للمفكر إدموند بيرك (١٧٢٩ ـ ١٧٩٧) عنوانه «بحث فلسفى فى أصل أفكارنا عن الجليل والجميل » (١٧٥٦) ولقد عرض إيمانويل كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) تحليلا للجليل والجميل فى كتابه «نقد ملكة الحكم» عام ١٧٩٠.



(١) الركوك Rococo : أسلوب فى الفن والعمارة نشأ فى باريس فى مطلع القرن الثامن عشر، وراج فى فرنسا وأوروبا الوسطى خلال النصف الثانى منه وذلك بعد انقضاء عصر الباروك: يتميز بالمبالغة فى الزخرفة والإكثار من استخدام المرايا وأشكال «القواقع والصدف». ولفظ «الركوك» مشتق من كلمتين فرنسيتين هما Rocaille ومعناها الزخرفة و Coquille ومعناها الصدفة أو القوقعة . (المترجم)

(٢) فرانسوا بوشيه (١٧٠٣ ـ ١٧٧٠): رسام فرنسى يعتبر أحد أشهر الرسامين الفرنسيين وأغزرهم إنتاجا، شملته مدام بومبادور ـ وكان أستاذها فى الرسم ـ برعايتها، اشتهر بتصويره الموضوعات الدينية والمثولوجية والرمزية والريفية، من أروعها النفطور عام ١٧٣٩ . (المترجم)

(٣) چان بابتست سيمون شاردان (١٦٩٩ ـ ١٧٧٩): رسام فرنسى عرف بلوحاته التي تصور الحياة المنزلية الهادئة وموضوعات الطبيعة الصامتة من أشهر لوحاته «سمك الورنك» عام ١٧٢٧ . (المترجم)

(٤) چان بابتست جروز (١٧٢٥ ـ ١٨٠٥): رسام فرنسى لوحاته ذات موضوعات عاطفية أو أخلاقية فى المحل الأول. من أشهر أعماله «المخطوبة القروية» عام ١٧٦١ و«اللعنة الأبوية» عام ١٧٦٥ و«الإبريق المكسور» عام ١٧٧٣ وهى كلها محفوظة فى متحف اللوڤر فى باريس. (المترجم)

(٥) فراجونار، چان أدنريه (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦): رسام فرنسى يعتبر أحد أبرز رسامي الطبيعة فى تاريخ الفن كله. تتميز لوحاته بالجلاء والرشاقة من أشهرها: «المغتسلات» و«درس الموسيقى» و«جزيرة الحب» ، و«الأرجوحة» . (المترجم)

چان چاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨)

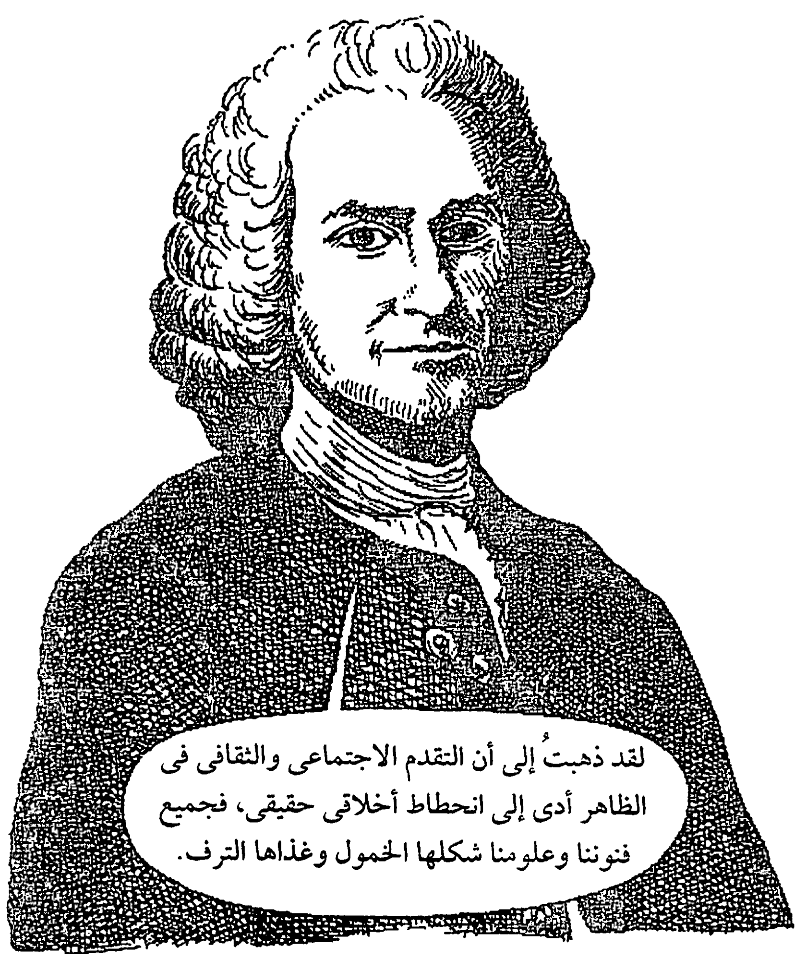
ولد روسو فى مدينة جنيف وهى جمهورية (دولة المدنية) بروتستانتية كالڤينية فى سويسرا يحيط بها عدد كبير من الدوقيات الكاثوليكية والإمارات والممالك. وتوفيت والدته بعد ولادته بوقت قصير. وقد تلقى تعليما رسيما، فى سن الخامسة عشرة أخذ إلى منزل بارونة سويسرية كاثوليكية هى مدام دى ڤارن التى كانت تأمل فى تحويله إلى الكاثوليكية وإكمال تعليمه.



أما بالنسبة إلى الموسوعة فقد كتب روسو فيها مقالاً عن «الاقتصاد السياسى» ومعظم المقالات فى موضوعات موسيقية، كما تمَّ قبول روسو فى الحلقات الثقافية المهذبة فى باريس ـ ومن فلاسفة التنوير ـ على أنه واحد من جماعتهم.

تحديات روسو

بأول بحث مهم له «مقال عن الفنون والعلوم» عام ١٧٤٩ تحدى روسو خاصية أساسية فى عصر التنوير، ولخّص موضوعا سوف يواصل تطويره فى جميع كتبه المتأخرة.



وكان بحث روسو المهم التالى هو مقال فى أصل التفاوت عام ١٧٥٥، رسم كذلك صورة للتاريخ البشرى على أنه تجل للفساد المتدرج والانحطاط المتوالى. غير أن التنطع والترف والتعليم ليست مسئولة إلا عن التفاوت واللامساواة، فقام روسو بتعقب جذور التفاوت فى الملكية الخاصة وما ينتجه من حقد وحسد.

مقال عن أصل التفاوت

«وهكذا ينتشر التفاوت الطبيعى نفسه بالتدريج مع تفاوت الاختلاط على وجه غير محسوس، ويتطور الاختلاف بين البشر تبعا لاختلاف ظروفهم ويصبح أكثر دواما ومحسوسا أكثر فى نتائجه، ويبدأ فى التأثير ـ بالنسبة نفسها ـ فى جميع الأفراد.

لقد أصبح الناس يهتمون الآن بالظهور بما ليسوا عليه حقيقة، فما تكونه وما تبدو عليه أصبحا الآن شيئين مختلفين أتم الاختلاف، وينبع من هذا التمييز فخامة وقحة متعجرفة، والغش والاحتيال، مع العديد من الرذائل التى تسير فى أعقابها. ومن ناحية أخرى فإن الموجودات الحرة المستقلة كما كان البشر، وعلى نحو ما هم الآن، ونتيجة للحاجات الجديدة، خضعوا ـ إنْ صحَّ التعبير ـ للطبيعة كلها، كما خضع الواحد منهم للآخر بصفة خاصة، وأصبح كل واحد منهم، إلى حد ما، عبدا حتى وإنْ أصبح سيدا للآخرين: ولو كانوا أغنياء فهم بحاجة إلى خدمات الآخرين، ولو كانوا فقراء فهم فى حاجة إلى مساعدة الآخرين، وحتى الحاجة البسيطة لا تمكنهم من العمل بدون بعضهم البعض. وباختصار ظهرت العداوة والتنافس من ناحية والاهتمامات المتضاربة من ناحية أخرى، مع الرغبة السرية فى الحالتين فى الربح على حساب الآخرين وجميع هذه الشرور كانت النتائج الأولى للملكية الخاصة، وما يرتبط بها من نمو للتفاوت وعدم المساواة.

قبل اختراع العلامات والرموز التى تمثل الأغنياء كانت الثروة لا تعتمد على شيء قدر اعتمادها على الأرض وقطيع الماشية، فتلك هى الحيازة الوحيدة التى يستطيع البشر امتلاكها: وما لبث الأثرياء من جانبهم أن بدأوا فى تذوق لذة إصدار الأوامر، حتى ازدروا الآخرين جميعا، وعرف الأغنياء أنهم تأسسوا على أسماء زائفة محفوفة بالمخاطر، حتى إذا ما أخذ الآخرون منهم عنوة ما ربحوه هم أنفسهم بالقوة، فلن يكون لديهم مبرر للشكوى..».



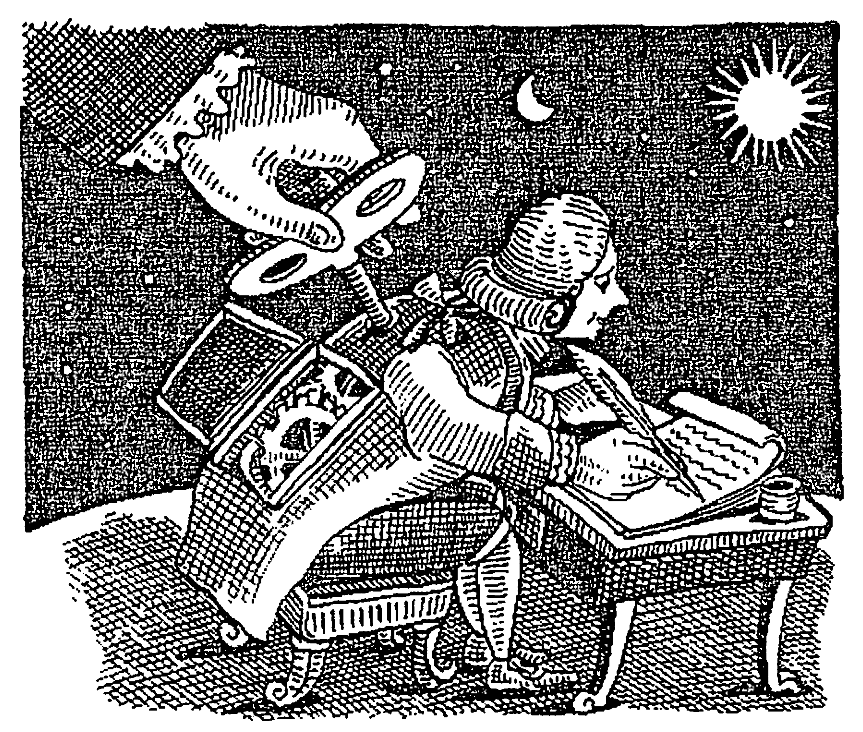
ڤولتير فى مواجهة روسو

أرسل «روسو» نسخة من هذا الكتاب إلى ڤولتير الذى اعترف بتسلُّمه فى رسالة.

يظهرنا التاريخ فى رأى روسو على أن التقدم قد زاد من فساد الناس، لكنه يوافق على أن الوقت قد حان ليكون سبب هذا الفساد هو نفسه «يحتاج أن يمنع تحوله إلى ما هو أسوأ.. فالحال أشبه بترك السكين فى الجرح خشية أن تموت الضحية لو جذبناها منها..».

الطبيعة والتاريخ الطبيعى

كان المفكرون فى كل مكان ـ إبان النصف الأول من القرن الثامن عشر ـ لا يزالون يحاولون هضم مضامين حسابات نيوتن، فقد وصلت التأملات حول طبيعة الإنسان إلى ذروتها فى نموذج «الإنسان الآلة» أو بالأحرى الحيوان الآلى. فديدرو الذى كان يفهم الطب فهما جيداً والذى سحرته التطورات الجديدة فى حياة العلوم ـ انجذب لتأمل مضامينها لفهمنا للجنس البشرى. لقد سحرته فكرة أن كل شىء فى الكون مترابط، وقد أدى به ذلك إلى حشد من التشابكات والنظرات والافتراضات بعيدة النظر.



سألت العالم الطبيعى عما إذا كان الكون أو المجموعة العامة من كل ذرات التفكير والشعور شكل كلا واحداً أو لا: فلو أجاب أنها لا تشكل كلا واحدا فإنه يهدم وجود الله بكلمة واحدة عن طريق إدخال الاضطراب والفوضى فى الكون، وهو بذلك سوف يدمر أساس الفلسفة عن طريق تحطيم السلسلة التى تربط بين جميع الموجودات.

ديدرو: «أفكار حول تأويل الطبيعة».

الطبيعة بوصفها نسقًا: لينيوس

الدكتور السويدى وعالم الطبيعة «كارل لينيوس» (١٧٠٧ ـ ١٧٧٨) ميَّز تمييزا تاما بين الموجودات الحية وغير الحية . وساعد فى تأسيس «علوم الحياة» مثل «علم النبات» و«علم الحيوان» لمجالات منفصلة من البحث.



نظام التسمية الثنائية الذى تصنِّف الكائنات الحية بواسطته وتعطى لها أسماء (لكل جنس أو اسم العائلة ونوع أو اسم الفرد) ونحن مدينون بهذا التصنيف إلى لينيوس Linnaeus فقد رأى أن الطبيعة عبارة عن كل منسجم، نسق متوازن ومترابط خلقه الله. وتجول تلامذته فى أنحاء العالم على سفن تجارية، أو مع مستكشفين من أمثال «كابتن كوك»..

الطبيعة بوصفها تاريخا: بوفون

آراء لينيوس تحداها چورچ لويس ليكرك كونت دى بوفون (١٧٠٧ ـ ١٧٨٨) الذى بدأ عام ١٧٤٨ بنشر ٣٦ مجلدًا من كتابه «التاريخ الطبيعى» إبان حياته، وقد أكملها بثمانية مجلدات (١٧٨٨ ـ ١٨٠٤) بعد وفاته، وقد غطى الكتاب جميع الموضوعات فى الطبيعة من الإنسان والطيور إلى القشريات، والأسماك، والمعادن، وقد كتب بلغة دقيقة ومحكمة.



واستخدم دليلا من الحفريات وتجارب فزيقية للبرهنة على أن العالم والحياة نفسها أبعد فى القدم بأكثر مما يعتقد اللاهوتيون. وعنوان كتابه «التاريخ الطبيعى» يلفت النظر إلى إيمانه بأن العالم فى حالته الراهنة ليس فى الحالة نفسها التى كان الله قد خلقه عليها. ولقد أدانت كلية اللاهوت، فى السوربون، هذا الكتاب.

فضيحة المذهب المادى

ارتبط بعض فلاسفة التنوير ارتباطا وثيقا بالموسوعة وطوروا نظرة إلى العالم: مادية، حتمية، إلحادية.



يمكن أن نتعقب أى معرفة عائدين إلى الإحساسات أو الانطباعات التى تلقيناها من العالم الخارجى، وليس التطور الفردى سوى نتيجة لتراكم هذه الانطباعات . وبدت الأفكار اللاهوتية التقليدية مثل «النفس» «افتراضات غير ضرورية».

لامترى وهلفتيوس

المادى الفاضح المتطرف فى عصر التنوير هو الطبيب جوليا أوفروى دى لامترى (١٧٠٩ - ١٧٥١) الذى زعم كتابه «الإنسان الآلة» أنه من الممكن تفسير جميع الملكات البشرية: العقلية والروحية وكذلك المادية الفزيقية عن طريق تنظيم المادة، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لأى نوع من النفس.



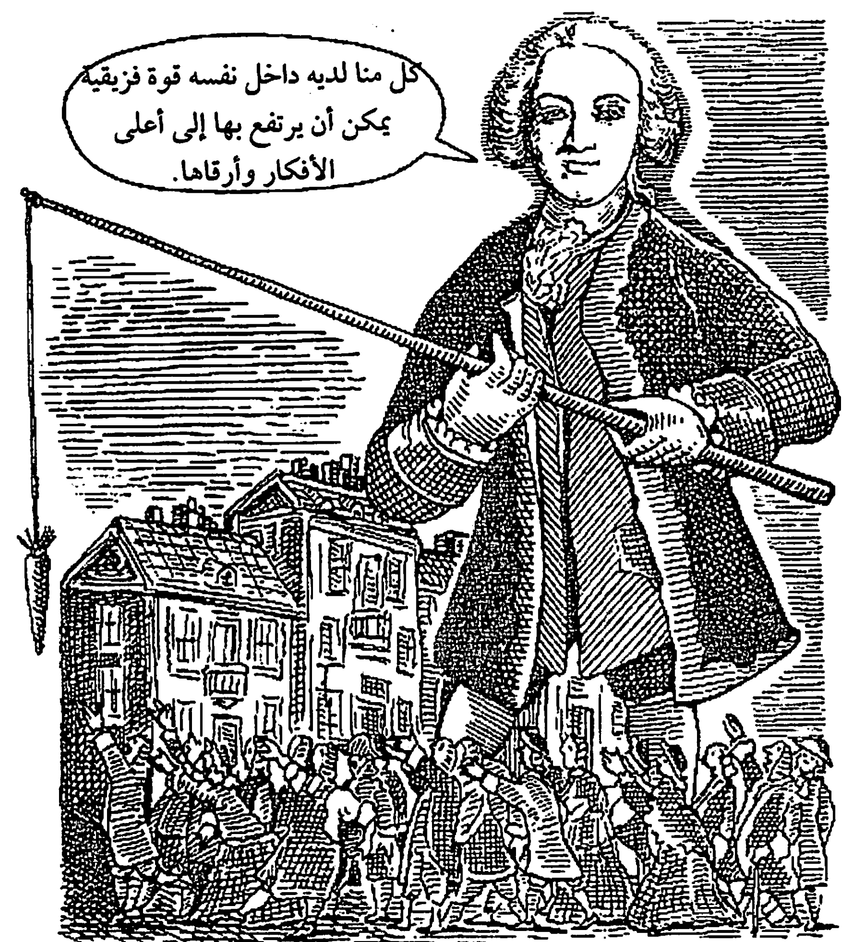
وما هو فضيحة أكثر بالنسبة لمعاصريه - بمن فيهم ديدرو وهولباخ - كان النتيجة التى انتهى إليها دى لامترى من أنه لا توجد معايير أخلاقية مطلقة وأن الإنسان تحكمه باستمرار دوافع مادية. واضطر إلى الهرب أولاً من باريس، ثم بعد ذلك من هولندا، واستقر فى النهاية فى بروسيا تلبية لدعوة الملك فردريك الأكبر.

فى يوليو ١٧٥٨ صديق ديدرو الفيلسوف صاحب التفكير الحر كلود أندريان هلفتيوس (١٧١٥ ـ ١٧٧١) نشر بحثا عن الروح أثار فضائح عنيفة. وكانت مادية هلفتيوس من النوع السلوكى امتدادا لأفكار لوك وكونديلك، مفسرا كل المعرفة البشرية والسلوك على أنها ثمرة التربية والتعليم من خلال التجربة الحسية والاجتماعية، ولقد رفض هلفتيوس أن يفكر فى العوامل الفسيولوجية، لكنه مع ذلك تحدى الفهم الجبرى للأخلاق.



المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية

اعتقد هلفتيوس أن جميع البشر يولدون متساوين أساسا فى ملكاتهم، أما الخلافات الفعلية بين الناس فهى ترجع إما إلى اختلافات فى قوة عواطفهم وانفعالاتهم، أو إلى أحداث تربيتهم.



وصل كتاب «عن الروح» إلى الذروة فى رؤيته لتحسين أحوال الموجودات البشرية؛ إذ يستطيع المشرع الحكيم عن طريق إعداد مكافآت للفضيلة المدنية وإثارة العواطف والانفعالات، وبالتالى التغلب على القصور الذاتى للعقل، ولقد وجد ذلك صدى عند خطباء الثورة الفرنسية.

هولباخ

البارون دى هولباخ (١٧٢٣ ـ ١٧٨٩) عالم ألمانى استقر فى باريس[١] حيث كتب أكثرمن ٤٠٠ مقالة أساسا عن الكيمياء وعلم المناجم، كتبها للموسوعة بصفة خاصة. وكان«هولباخ» «مضيفًا كريمًا» كانت حفلات العشاء عنده «مأدبة» للقادة الراديكاليين فى باريس،وكان الزوار من خارج فرنسا على مائدته من أمثال: لورنس شتيرن، وهوراس ولبول ، وآدم سميث من بريتن. وسيزار بونزانا، ومارشيز دا بيكاريا، المصلح القانونى العظيم من ميلان، و بنيامين فرانكلين من أمريكا. وعندما كان يعمل بالسفارة البريطانية فى باريس كان الفيلسوف التجريبى ديفيد هيوم كثيرًا ما يتناول طعام العشاء على مائدة هولباخ.

(١) جاء «هولباخ» من ألمانيا إلى العاصمة الفرنسية منذ نعومة أظفاره على رأس ثروة هائلة، وجعل من داره ملتقى لكتاب العصر، وقد بلغ من بذخ حفلات العشاء أن أطلق الأب جاليانى على هولباخ لقب «سفرجى الفلسفة الأول!». (المترجم)

مصنع المفكرين الأحرار

بعد رحلة قام بها هولباخ إلى إنجلترا عام ١٧٥٦ (حيث قضى بضعة أيام فى صحبة الممثل ديفيد جاريك، وأيضًا فى صحبة صديق من أيام الدراسة، وهو المتطرف والإباحى چون ويلكز) قرر هولباخ أنه قد آن الأوان للقيام بحملة أشد جرأة على الأفكار اللاهوتية المتوارثة.



وأصبح كتاب هولباخ نفسه «نسق الطبيعة» عام ١٧٧٠ نصا ماديا سيئ السمعة أخذ فيه بوجهة نظر اختزالية تماما. فالإنسان موجود طبيعى خالص، والإنسان الطبيعى هو إنسان يعمل تحت ضغط الأسباب التى تتكشف لنا عن طريق حواسنا، وأما الإنسان الأخلاقى فهو إنسان يعمل من خلال أسباب فزيقية لا تنكشف لنا على نحو مباشر.

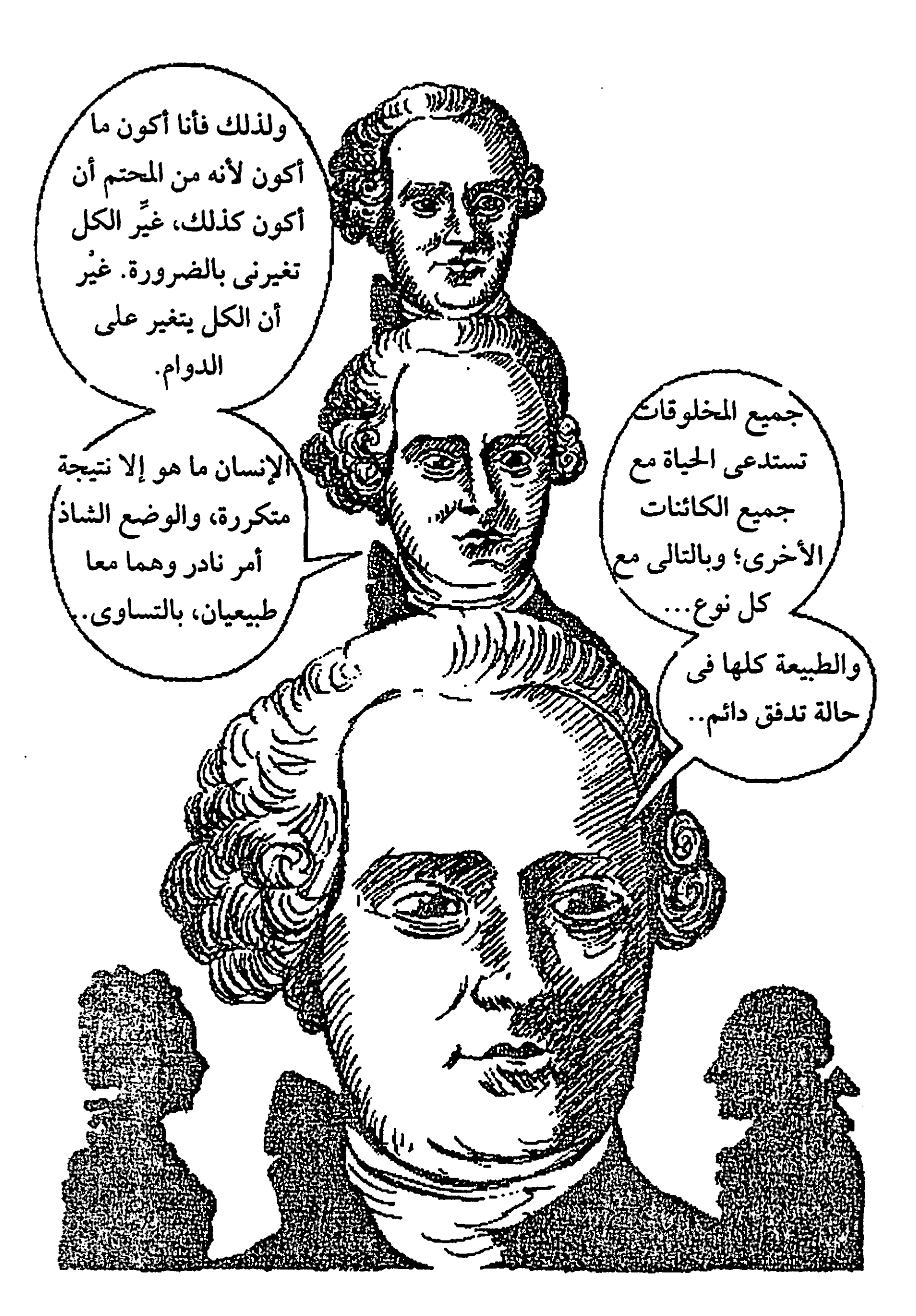
حلم دالمبير

وجـهة نظر هولبـاخ عن النوع البـشرى تشـبه وجـهة النـظر التى كشف عنهـا ديدرو بضورة دقيـقة ومتشابكة وهى التى كـتبها فى «حلم دالمبيـر » عام ١٧٦٩، لكنه لم ينشرها أبدًا. ولقد كان ديدرو بوصفه كاتبا شابا مناضلا، قد قضى ثلاث سنوات فى حياته يترجم مـعجـما مـهمـا عن الإنجليـزية، ولقد دعم افـتتـانه بالمجـال كله خلال عـقود العـمل فى الموسوعة.



أكـد ديدرو عـن طريق تلخيـص الأفكار فى صـورة حـوار وحلم، على طابعــها الافتراضى، وتعتمد البرهنة عليها على مستقبل المكتشفات العلمية.

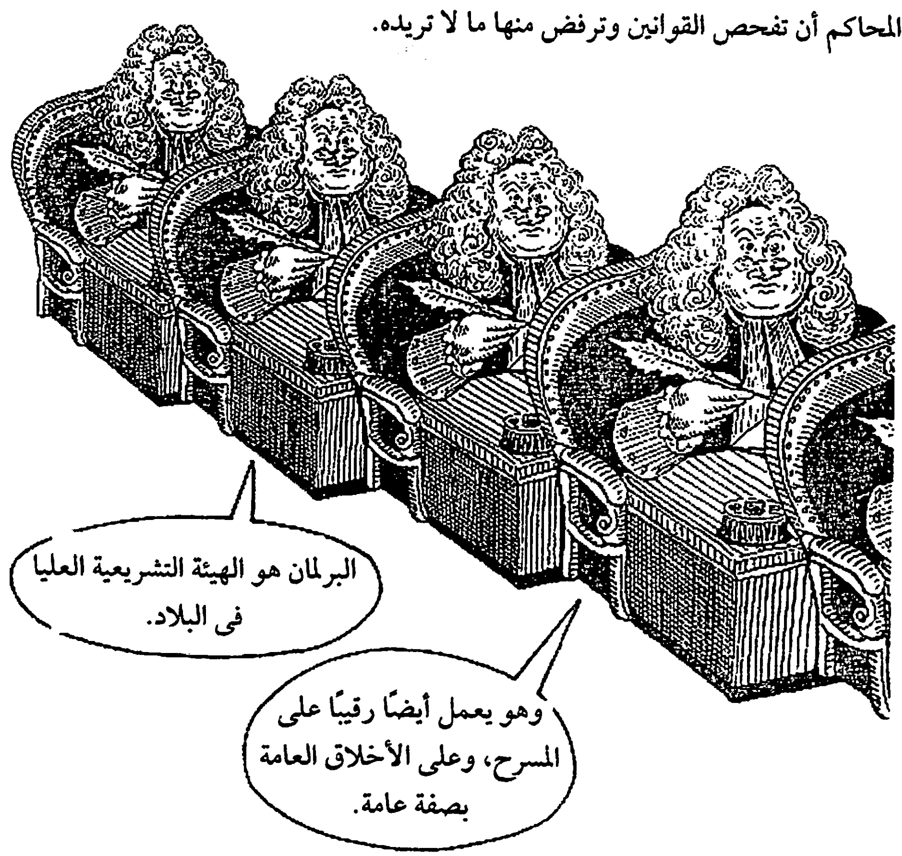
صديقان: مدموزيل دى إسبيناس وبوردو اهتما بعلاج دالمبير من هلوسته.




ثم بعد ذلك تتحدثون عن الأفراد يأيها الفلاسفة التعساء!
.. ليس هناك مثل هذا الشىء كلا، كلا ليس هناك شىء كهذا.
ما المقصود بالموجود؟ مجموع عدد معين من الميول...
هل يمكن أن أكون شيئًا أكثر من ميل؟
لقد توقف!
نعم، ولقد كتب بحثا مسهبا جميلا رغم أنه حاليا بحث نظرى، فإننى أعتقد أنه كلما تقدمت معرفة الإنسان تحقق من ذلك أكثر..

البرلمانات الفرنسية

انقسمت فرنسا، فى القرن الثانى عشر، انقساما عميقا حول مسألة السلطة السياسية. فقد كان الملك ووزراؤه، بمعنى ما، فى نزاع دائم مع البرلمانات، أما المحاكم الفرنسية العظيمة فقد كانت تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية، التى ادعت أن من حق هذه المحاكم أن تفحص القوانين وترفض منها ما لا تريده.



كان هناك ـ ككل ـ ثلاثة عشر برلمانا فى فرنسا، وكان لبرلمان باريس النفوذ الأقوى. وكان يمكن شراء المناصب فى البرلمانات، وكانت وراثية . والمناصب العليا تمنح الحائزين عليها حق النبالة الذين أصروا على ما يسمى «بنبالة الثوب» فى معارضة « نبالة السيف».

كان البرلمانيـون مجانين بالبروتوكول، إذ يُعدُّ الاحـتفال بعودتهم فى شهر نوفـمبر بعد عودتهم من عطلة الصيف واحدا من مناظر الطقوس العظيمة خلال السنة.



ونتيجة لذلك أصبح البرلمان، صوابا أو خطأ، مـركز المعارضة القانونية للملك المطلق، وكان فى سنوات منتـصف القرن فى صراع دائم مع العرش. وكـان قصر العـد ل ـ مركز برلمان باريس ـ على مـا يقـول سيمـون سكيـمـا «في واقع الأمـر ـ فى حد ذاته مـدنيـة مصغَّرة».

مونتسكيو و روح القوانين

نُشر كتاب مونتسكيو «روح القوانين» لأول مرة عام ١٧٤٨ يضفى احتراما سياسيا على الفكرة التى تقول إن البرلمانات ينبغى أن تعمل على الحد من امتيازات التاج، كما يعمد إلى نشر هذه الفكرة على نطاق واسع. وكان مونتسكيو نفسه رئيسًا لبرلمان «بوردو».



وأصبح فى يوم وليلة من أكثر الكتب رواجا، إذ طبعت منه اثنتى عشرة طبعة فى ستة أشهر، واختفى أعظم احتفال لكتاب «ألكسندر دلير» وهو كتاب موجز لمجموعة من التلخصيات عنوان «جنى مونتسكيو» مخصص للمناقشات الخلافية.

كان مونتسكيـو يبحث عن الأسباب والمبررات التى جعلت المؤسسات السـياسية على ما هى عليه؛ فشرع فى عمل مسح للتنوع الهائل للنظم السياسية والاجتماعية على أساس مبدأين، الأول: اطراد الطبيعـة البشرية ، والثانى: الاختلافات التى تحدثها البيـئة والثقافة . وكـانت دراسـة مونتـسكيـو أول دراسـة كـلاسـيكية عـظيمـة يمكن أن يقـال إنهـا «أدب اجتماعى» غيَّرت من طبيعة المناقشات الفلسفية فى موضوع السياسة.



القانون الطبيعى

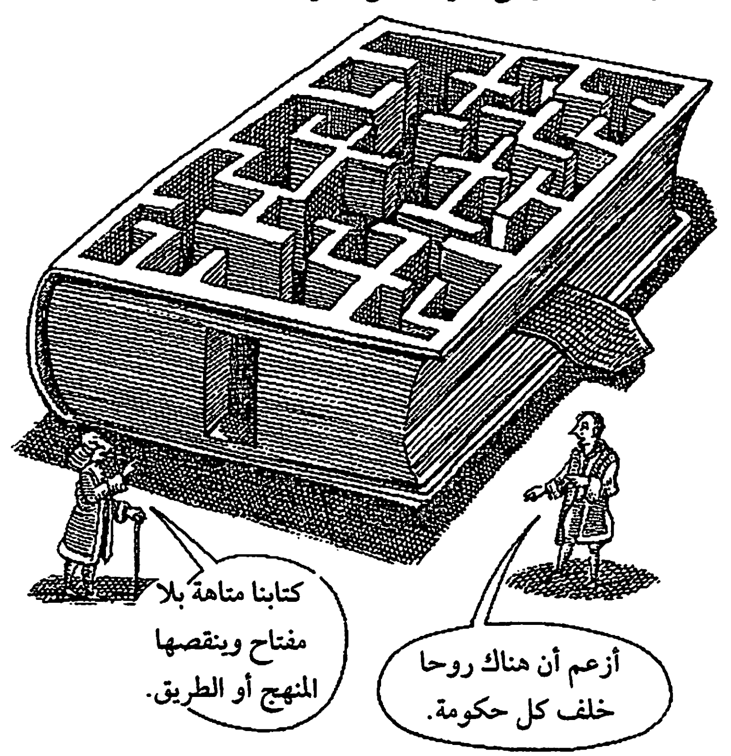
ونظر مونتسكيو مثل الكثير من معاصريه إلى الوراء إلى تراث قديم فى نظرية القانون الطبيعى، فقد اعتقد الروائيون من أمثال شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق. م) أنه واجب أخلاقى على الإنسان أن يفكر بطريقة تجاوز العادات والعرف، وأن يكتشف ما الذى ينبغى عليه عمله.



يتحدث كُتَّاب عصر التنوير أحيانا عن الله خالق القانون الطبيعى، ومصدر سلطته: «لكنهم بالفعل يستمدون أصله وصفته الملزمة من طبيعة الإنسان، اتفاق الحكماء عبر العالم، وعبر التاريخ، شهادة العقل الإحساس الطبيعى للإنسان بالعدالة، وكما عبَّر عن ذلك ديدرو بطريقة ثورية، وإن ظلت اختبارية فى الموسوعة: الإرادة العامة التى لا تخطئ للبشر». (بطرس جاى)

التحفة المهملة

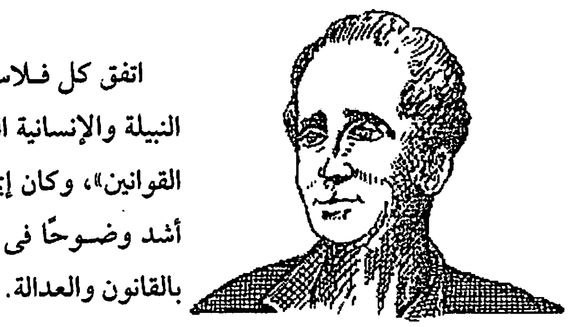
الثلث الأول من «روح القوانين» يعالج أشكال الحكومة وطبيعتها وحقوق الرعايا، ثم تحول الكتاب إلى تحليل تأثير المناخ والبيئة على السياسة والعادات الاجتماعية، ثم جاء الجزء الأخير من الكتاب مجموعة غير متآلفة من المناقشات ـ بين أشياء أخرى ـ عن الاقتصاد السياسى ، والسياسة فى فرنسا، والنظرية القانونية. لقد كان كتاب «روح القوانين» التحفة المهملة التنسيق فى القرن الثامن عشر.



خلف النظام الملكى يكمن «الشرف» الذى يعطى إحساسا بالمكانة والمسئولية، الذى تبرهن عليه النبالة، أما الروح التى تكمن خلف النظام الجمهورى فهى «الفضيلة» والإحساس بالوعى المدنى والانتماء وما يستلزمه من واجبات. أما الروح التى تكمن خلف نظام الاستبداد فهى «الخوف» وعندما تضعف أى روح من هذه الأرواح التى تدعم النظام فسوف تضعف الحكومة من تلقاء نفسها [١].

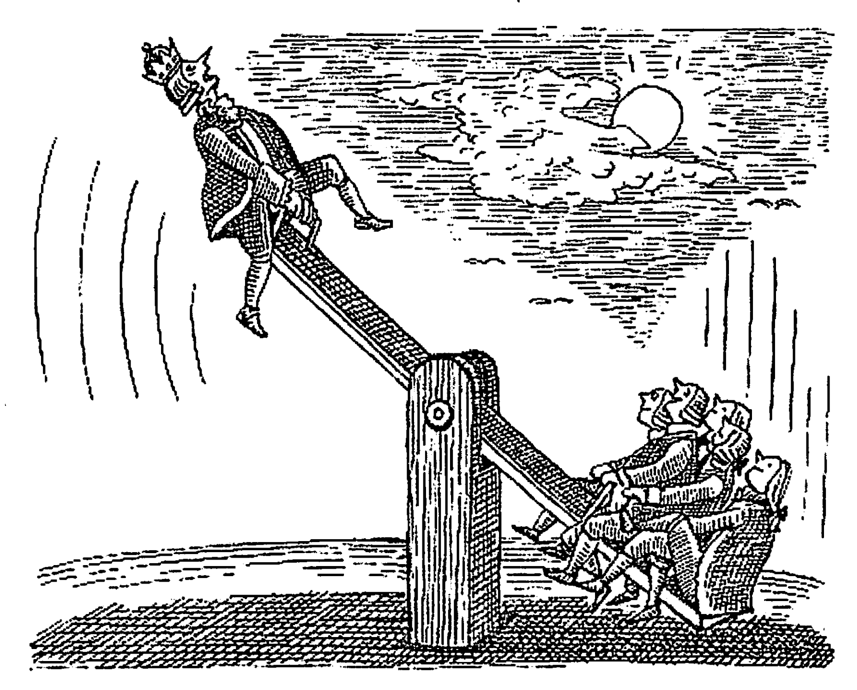
(١) كثيراً ما يقول مونتسكيو «المبدأ» الذى يركز عليه النظام الملكى، والمبدأ الذى يعتمد عليه الاستبداد.. إلخ، بدلاً من كلمة «الروح» . (المترجم)

الحرية الفردية وحكم القانون



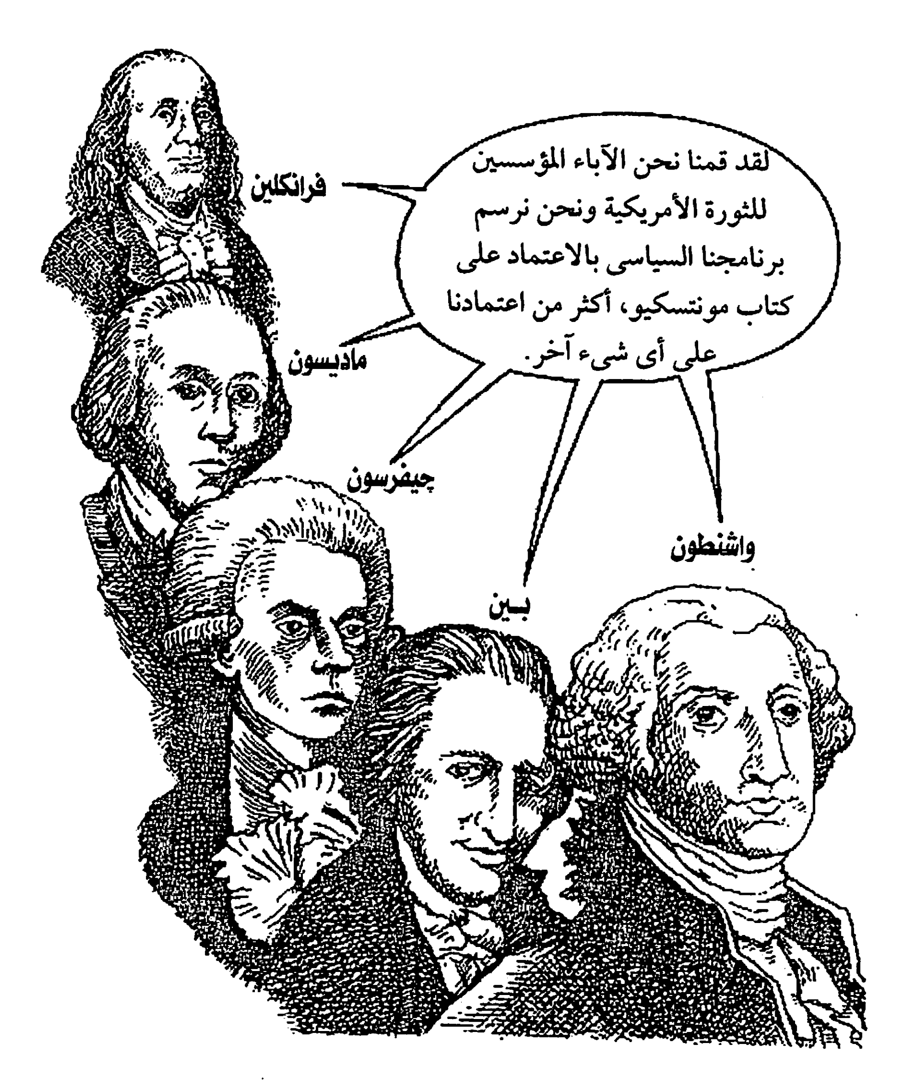
اتفق كل فلاسفة التنوير على الفلسفة النبيلة والإنسانية التى يجسدها كتاب «روح القوانين»، وكان إيمان مونتسكيو بحرية الفرد أشد وضوحًا فى معالجته للقضايا المرتبطة بالقانون والعدالة.

كنتُ أعتقد باستمرار أن الاستبداد نظام سيئ وينبغى شكمه، ولقد استحسنتُ بصفة خاصة ما رأيت أن الرعايا البريطانيين يتمتعون به من حرية، وهى التى أعزوها إلى الفصل بين السلطات داخل النظام السياسى البريطانى.



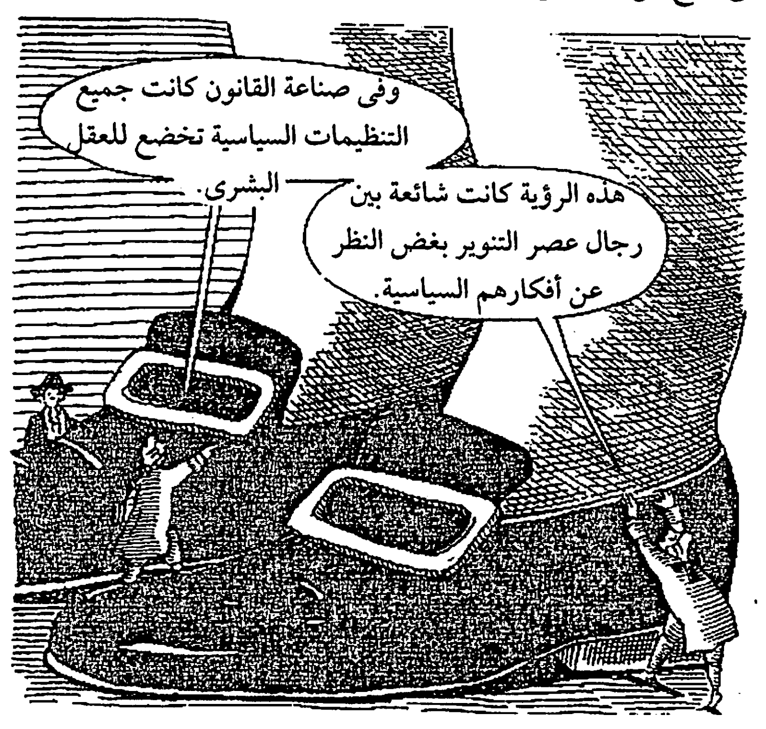
الملك فى رأى مونتسكيو هو السلطة التنفيذية الوحيدة، فى حين أن البرلمان وحده هو الذى يشرع القوانين، أما السلطة القضائية فتعمل ـ مستقلة ـ بمقتضى هذه القوانين.

والواقع أن كتاب مونتسكيو كان وجهة نظر مبسطة جدا عن السياسة البريطانية، وكان قد كتب فى وقت التغير فى بريطانيا. ولقد كان المفكرون الإنجليز الرواد يميلون إلى النزعة المحافظة، فلم تكن ثمة حاجة إلى الأيديولوجيات الراديكالية أو المتطرفة بعد تعريف چون لوك لليبرالية السياسة، والليبرالية الاقتصادية. والواقع أن الراديكالية المبكرة فى إنجلترا قد تحولت إلى ضدها عن طريق المستعمرات الأمريكية. ولقد أثر كتاب مونتسكيو ـ يقينا ـ عندئذ فى النظريات السياسية فى اسكتلنده فى عصر التنوير.



المستبد المستنير

الكتابات السياسية فى عصر التنوير موجهة أساسا ضد ما يسمى عادة بمصطلح فضفاض هو «الاستبداد» الذى يشمل العديد من الخطايا، وهو يضم أى استخدام تعسفى للسلطة من جانب الملك، لكنه يشير كذلك إلى الامتيازات التى تدعيها الطبقة الأرستقراطية والكنيسة. بمقدار ما تقوم هذه الادعاءات ببساطة على أساس التراث أو الأحداث السابقة أو السلطة، ضد هذه البقايا اللاعقلية أو المخلفات رفع عصر التنوير مثلا أعلى يضع كل عضو فى الأمة - حتى الملك - تحت طائلة القانون.



ولقد أغرت حجج مونتسكيو بشكل النظام الملكى المقيد عددًا كبيرًا من المفكرين فى منتصف القرن الثامن عشر، من بينهم الفزوقراطيون [1] الذين يدافعون عن حرية التجارة واللبرالية التجارية فى ظل النظام القديم، والذين ظلوا من أنصار النظام الملكى.

(١) الفزوقراطيون أو الطبيعيون: جماعة من علماء الاقتصاد ظهرت فى فرنسا فى منتصف القرن الثامن عشر وزعمت أن القيمة مستمدة من الطبيعة - ومن هنا اسمها - دعوا إلى حرية التجارة، كان فرانسوا كيناى مؤسسها وتورجو من أبرز دعاتها . (المترجم)

ثم بعـد ذلك عندما تحـركت المشاعـر الديمقـراطية والجـمهـورية عند جيل جـديد من الثـوريين استطاع هؤلاء أن يستـمـدوا لغـة للرؤية من كـتابات روسـو، إلا أن مـعظم الشـخـصـيـات الرئيسـيـة فى عـصـر التنوير كـانوا من المصـحلين ولـم يكونوا أبدًا من الراديكاليين، ولقـد بدا لهم أنه من الطبيـعى أن يتجهـوا بخطابهم وحجـجهم إلى أولئك الذين يمارسون السلطة.



العديد من فلاسـفة التنوير ـ ومنهم ڤولتير وديدرو وهلفتيوس ـ سحرتهم لفترة من الزمن فكرة «المستبـد المستنير»، أو ربما قلنا «الاستبداد المتنور»؛ لأن الاستبداد المتنور ليس نظرية سياسـية، ولا حتى عند فلاسفة التنوير، لكنهـا فرصة مهمة فى حـياة الحاكم. ولقد كان من الناحيـة السياسية ثانويا فى فـرنسا ولهذا فقد اتجهـو بفكرتهم لإصلاح الملوك إلى فردريك ملك بروسـيا، وكاثرين ملكة روسـيا اللذين مالا إلى التـسامح، وأظهرا اهتمـاما بالإصلاح العقلى للحياة السياسية، والقانونية، والاقتصادية.

فردريك الثانى: ملك بروسيا

فردريك الثانى (الأكبر) ملك بروسيا (١٧١٢ ـ ١٧٨٦) داعب خياله عدد من فلاسفة التنوير، فى عام ١٧٣٦ وكان لا يزال الأمير على عرش بروسيا كتب هجوما على ما كان يظن بصفة عامة أنه رواقية الفلسفة السياسية عند ماكيافيلى، وبرهن على اهتمامه بالفن، والموسيقى، والشعر، وكان فردريك قد بدأ المراسلة مع ڤولتير، ولقد كان ڤولتير مهتما بأن يعرف أصدقاؤه أن فردريك هو الذى بادر بالمراسلة.



فى صيف عام ١٧٥٠ أدار ڤولتير ظهره لباريس (التى لن يعود لزيارتها إلا بعد عودته المظفرة فى السنة الأخيرة من حياته) وبدأ ثلاث سنوات من الإقامة فى بلاط الملك فردريك الأكبر ، ولقد تحرر من الوهم عندما اكتشف أن الملك فردريك لم يقدر كثيرا أفكاره السياسية والفلسفية ،والواقع أنه لم تكن هناك خدمة تسدى إليه أفضل من إسعاد فردريك، وتصحيح أشعاره الفرنسية وامتداحها.

كاثرين العظمى: ملكة الروسيا

كاثرين الثانية (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) التى اعتلت عرش روسيا عام ١٧٦٢ كانت لها آراء أشد رحابة؛ فقد أبدت تصميما لإحداث تغييرات كثيرة مطلوبة فى البنى الروسية الاجتماعية والسياسية، وكانت قد تأثرت بمونتسكيو، وبالمنظر القانونى الإيطالى سيزار بيكاريا (١٧٣٨ ـ ١٧٩٤) واهتمت اهتماما عميقا بما تمَّ إنجازه فى «الموسوعة».

وفى منتصف الستينيات (١٧٦٠) كان ديدرو على وشك الانتهاء من الموسوعة، وكان قد تلقى عددًا قليلا من المميزات والشرف كما مرَّ بحقبة مظلمة من الشك العميق.



وبعد ذلك ببضع سنين عمل ديدرو ملحقًا ثقافيا غير رسمى عند الإمبراطورة كاثرين، وفى عام ١٧٧٣، أغرته الإمبراطورة بأن يقوم برحلة طويلة إلى سان بطرسبرج، وهى الرحلة الوحيدة ذات المغزى التى قام بها ديدرو خارج فرنسا.

صوَّر ديدرو وضعه فى روسيا على أنه وضع رجل أرسل عبر أوروبا لإرشاد الملكة، والقيام بدور سقراط مع ألقبيادس مع الملكة كاثرين، لقد كان تحقيق تخيلاته أشبه بالحلم؛ فقد اعتقد ـ مثل غيره من مفكرى التنوير ـ أن التقدم الاجتماعى لابد من أن يبدأ من أعلى، وأن على المصلحين أن يظفروا برضا الملك « فإلى مَنْ ينبغى أن يقدم الفيلسوف نفسه بقوة..» وما كتبه فى«صفحات ضد الطاغية» عام ١٧٦٩ «ما لم يكن إلى السيد؟»



كانت مجرد شائعات تلك التى تقول إن الإمبراطورة كانت تضع طاولة بينها وبين ديدرو لتحمى نفسها من تلميحاته النشطة.

إرشادات للإمبراطورة

سعى ديدرو إلى أن يضرم من جديد الطموحات التى استحوذت على هذه المرأة الهائلة العظيمة . لكنها كانت من الذكاء والثقة بالنفس حتى أنها لم تتأثر بنصائحه. ولقد كتب ديدرو، فيما بعد، تفصيل مناقشاتهما معا.



الكاهن.. والفيلسوف

الكاهن الذى يعتبر مذهبه الفلسفى نسيجا من المستحيلات يميل سرا إلى تدعيم الجهل، فالعقل هو عدو الإيمان.. والإيمان هو الأساس فى مركز القسيس، ومستقبله ومكانته.



«يتحدث الفيلسوف حديثا سيئًا عن القسيس أو الكاهن، ويتحدث الأخير عن الفيلسوف حديثا سيئًا أيضًا. غير أن الفيلسوف لم يحدث أبدا أن قتل قسا فى حين أن القسيس قتل عددا كبيرًا من الفلاسفة.. ولم يقتل الفيلسوف أبدا أحدًا من الملوك بينما قتل القسيس عدا كبيرا منهم..». ديدرو

الفلاسفة لن يشكلوا أبدا فرقة دينية

«علينا أن لا نخشى أن يضر أى رأى فلسفى بديانة الدولة، على الرغم من أن براهيننا تصطدم مباشرة بأسرارنا، فلا شىء من حيث الغرض لأن الأسرار لا يوليها الفلاسفة المسيحيون احتراما أقل، وهم يعرفون جيدا أن موضوعات العقل وموضوعات الإيمان من طبيعتين مختلفتين أتم الاختلاف.

لن يشكل الفلاسفة أبدًا فرقة دينية؛ وسبب ذلك هو أن كتاباتهم لا تتجه إلى الناس العاديين بما أنهم هم أنفسهم يخلون من الحماس.

لو أننا قسّمنا الجنس البشرى عشرين قسما، فسوف نجد أن ١٩ قسما منها يشتملون على أشخاص يقومون بالعمل اليدوى، ولا يعرفون أبدا أن هناك شخصا يسمى «مستر لوك»، وفى القسم العشرين المتبقى سنجد عددًا قليلاً من القراء، ومن بين هؤلاء نجد نسبة عشرين شخصا يسلون أنفسهم بالقصص الرومانسية إلى واحد يدرس الفلسفة، فالقسم المفكر من الجنس البشرى محصور فى نطاق عدد ضئيل جدا وهؤلاء لن يزعجوا السلام والطمأنينة فى العالم

لا مونتنى، ولا لوك ولا بايل، أو إسبنوزا أو هوبز أو لورد شافتسبرى، ولا كولينز، أو تولاند ـ أشعلوا نيران الفتنة والشقاق فى بلادهم، فقد كان ذلك بصفة عامة من اختصاص رجال الدين الذين يتوقون فى البداية لرئاسة أحزاب دينية، لكن ماذا أقول؟ إن جميع أعمال الفلاسفة المحدثين إذا ما وضعت معا لن تثير على الإطلاق تلك الفتنة التى أثارها الجدل بين الفرنسيسكان حول قلنسوة الراهب وأكمام ثوبه...».

«عن مستر لوك» بقلم ڤولتير فى «رسائل فلسفية» من إنجلترا (١٧٣٣) .

كتب فردريك الأكبر إلى ڤولتير يقول:

«مبنى الخرافة بدأت أسسه تترنح وتميل إلى السقوط، وسوف تكتب الأمم فى تاريخها أن ڤولتير كان المثير والمحرض على الثورة التى نشبت فى عقول الناس إبان القرن الثامن عشر... ».



الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا

الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا أصابها مرض خطير، فقساوسة الأبرشيات يعيشون فى فقر مدقع، يؤدون عملهم دون مساعدة من رؤسائهم، فى حين أن الأساقفة وهم فى العادة من أسر نبيلة يعيشون فى قصور فخمة، والكثيرون منهم أهملوا واجباتهم وتركوا أحرارا فى اعتناق معتقدات أرثوذكسية.

وربما لم يكن سلوك الكاهن فى القرن الثامن عشر أسوأ مما كان عليه فى القرون السابقة، والقصص التى تروى فى الحانات منذ العصور الوسطى قد خلفت حصيلة زاخرة من الشخصيات.



فالرهبان الفاسقون الماجنون ، والراهبات الشهوانيات، والأساقفة العاجزون جنسيا، مصابون بأمراض جنسية، ورئيسات الأديرة يمارسن السحاق ويستسلمن «لجنون الرحم».

وكان الكاهن هدفا سهلا للوشاية ، وكثيراً ما ظهر فى الأدب المكشوف الذى انتشر فى عصر التنوير.

عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان

الهجمات المتكررة على سلطة الكنيسة الكاثوليكية بقيادة فلاسفة التنوير يمكن أن تعطى الانطباع بأنه كان هناك موقف قوى، بصفة خاصة، ومزاج مكافح ومناضل إبان عصر التنوير، والواقع أن الأمم المختلفة فى أوروبا، فى القرن الثامن عشر، رأت أن مؤسسات الدولة تظفر بالسلطة والنفوذ على حساب الكنائس القائمة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانية.

وسوف يكون من الخطأ أن نرسم صورة للقرن الثامن عشر على أنه القرن الذى كان فيه الإيمان فى حالة دفاع مستمر ضد المسيرة المتقدمة الظافرة للعقل. لقد شهد عصر التنوير أيضا تطور حركات دينية قوية.



- فى إنجلترا بداية الكنيسة الميثودية [1].
- فى المستعمرات الأمريكية الشمالية «اليقظة الكبرى».
- ظهور طائفة الحسدية السرية[2] بين يهود بولندا.
- الولايات البروتستانتية الألمانية، وحركة التقوى.

---

(١) الميثودية Methodism : طائفة بروتستانتية أسسها چون وزلى J. wesley (١٧٠٣ ـ ١٧٩١) عام ١٧٤٠ فى محاولة لإحياء كنيسة إنجلترا وهى تؤكد على الأخلاق الفردية والمسئولية فردية وجماعية . (المترجم)

(٢) الحسدية أو الحصيدية Hasidism: هى مذهب فى الباطنية اليهودية يحاول العودة إلى النقاء الأول وعدم التأثر بديانات الأغراب وعاداتهم .(المترجم)

الضرورة الاجتماعية للدين

هناك حكاية ظريفة ـ من المحتمل أنها منتحلة ـ انتشرت انتشارا واسعا تقول إن ڤولتير كان قد دعا مجموعة من فلاسفة التنوير إلى منزله فى فرنى للسمر. وكانت هذه المجموعة تتحدث بحرية وبصراحة عن الإلحاد، وفجأة طلب ڤولتير من الجميع الصمت كما طلب من الخدم الخروج من الغرفة، ثم برر هذا الحذر فيما بعد بسؤال: « أتريدون أن تقطع حناجركم الليلة؟»



وضع الخوف من جهنم

على الرغم من أن ڤولتير وكثيرين غيره من فلاسفة التنوير شكوا فى الحقائق التى يدافع عنها اللاهوتيون، فإنهم رغم ذلك شعروا بأن الدين من المحتمل أن تكون له ضرورة اجتماعية، فالخوف من جهنم والعقاب الأزلى لا يزال يعمل كأداة مؤثرة فى الضبط الاجتماعى، كما لاحظ إدوارد جيبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) فى كتابه: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦ [(١)].

النماذج المختلفة من العبادة المنتشرة فى العالم الرومانى اعتبرها الشعب كلها صحيحة على قدم المساواة، واعتبرها الفلاسفة كلها زائفة، واعتبرها الحكام كلها مفيدة على قدم المساواة.



(١) ترجمه إلى العربية لويس إسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم وأصدرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٩ . (المترجم)

الكنيسة، والدولة، والحقوق المدنية

كان التسامح الدينى يصعب على العديد من الحكام إنجازه من الناحية الرسمية؛ فالغالبية العظمى من الولايات يحكمها ملوك يستمدون مشروعية حكمهم - على الأقل فى جانب منه - من ولائهم لكنيسة معينة. فملك فرنسا الذى كان رعاياه يشكلون عددا كبيرا من البروتستانت، يقسمون فى أثناء حفل التتويج أن يستأصلوا الهرطقة البروتستانتية، وملك إنجلترا كان الرأس الدنيوى للكنيسة، وملك بروسيا كان الأسقفى الأعلى فى الكنيسة اللوثرية.

اعتقدتُ أن دورى هو دور الملك الكاثوليكى المخلص؛ ولهذا قمتُ بترحيل عدد كبير من الرعايا البروتستانت من بوهيميا.

ماريا تيريزا إمبراطورة النمسا (١٧١٧ - ١٧٨٠) (١).

وباعتبارى ابنها وخليفتها على العرش فقد كنت أكثر لبرالية ، فقد أردت أن أعرف رعاياى بطريقة تتجاهل ولاءهم الدينى.

چوزيف الثانى (١٧٤١ - ١٧٩٠) (٢).

أصدر الإمبراطور چوزيف الثانى فى عام ١٧٨٢ منشور التسامح الذى أعطى ليهود النمسا عددا من الحريات المدنية المهمة.

(١) ماريا تيريزا (١٧١٧ - ١٧٨٠): ارشيدوقه النمسا وملكه هينغريا وبوهيميا، زوجه الإمبراطور فرنسيس الأول، ووالدة مارى أنطوانيت، ورثت عرش أستراليا بعد وفاة أبيها . (المترجم)

(٢) چوزيف الثانى (١٧٤١ - ١٧٩٠): ملك ألمانيا (١٧٦٤ - ١٧٩٠) ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧٦٥ - ١٧٩٠) ابن فرانسيس الأول وماريا تيريزا، يعتبر أحد الطغاة المستنيرين فى القرن الثامن عشر: ألغى القنانة، وأصلح نظام الضرائب، ونشر التعليم، ورفع القيود عن التجارة. (المترجم)

اعتلى فردريك الثانى العرش فى عام ١٧٤٠ السنة نفسها التى اعتلت فيها ماريا تريزا العرش، وعلى الرغم من أن فـردريك كان رسـميا رأس الكنيسة الـلوثرية، فإنه شخصـيا كان رجلا ماسونيـا غير مؤمن،ولقد حدد دوره بأنه الرابطة بين الجماعـات الدينية المختلفة فى بروسيا، إلى الحد الذى جعله يفرض غرامـات على بناء كاتدرائيات كاثوليكية جديدة فى العاصـمة برلين عام ١٧٤٧. ولقد منعت بحـوث الهرطقة، والمناظرات الدينيـة العامة، وفى عام ١٧٥٠ منح اليهود فى بروسيا حقوقا جديدة.



موسى مندلسـون (١٧٢٨ ـ ١٧٨٦) مفكر وكاتـب يهودى، نشأ فى بيئة فقـيرة لكنه أصبح شخصيـة لامعة فى عصر التنوير فى ألمانيا، وكان هو نفسه ثورة أثرت فى المجتمع المسيـحى فى برلين وجعلته يراجع مـوقفه من اليـهود، لقد أمـدّ مندلسون صديقـه كاتب الدراما جوتهولد لسنج (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) بنموذج لمسرحيته «ناتان الحكيم».

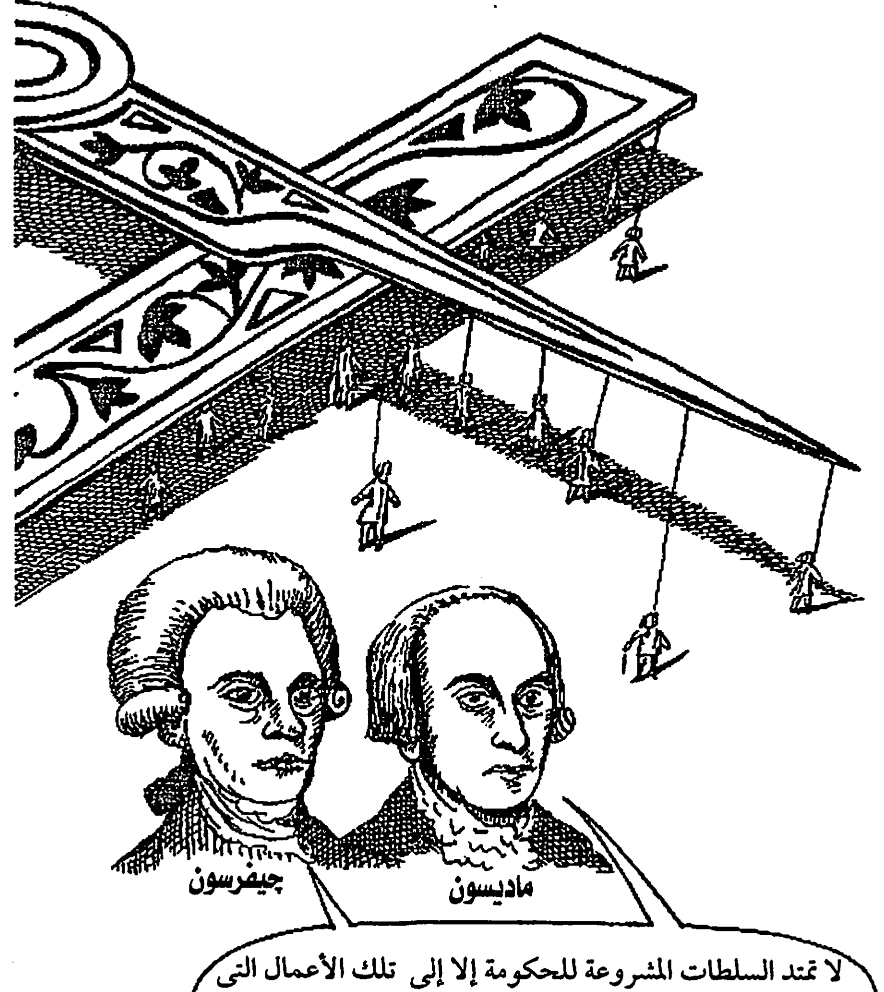
الماسونية

فى عـام ١٧١٧ شهـدت لندن إنشـاء أول مـحفل مـاسـونى فى إنجلتـرا. ولقد حـقق الماسونيـون أهميـة ملحوظة خـلال القرن الثـامن عشـر، ويرجع جانب من نجـاحهم إلى اشتـراك الأرستقـراطيين، بل أمراء من أمـثال فردريـك الكبير ملك بروسـيا، وفـرانسيس الأول ملك النمسا، وكان بنيامين فرانكلين وڤولتير - لبعض الوقت - أعضاء فى محفل ماسونى واحد.



كانت الماسونيـة خليطًا من الشعائر الصوفـية السحرية والدنيوية، والمثل العليا الكلية مـثل: الإخـاء والمساواة، والتـسـامح الدينى، والعـقل، إلا أن الماسـونيين أدينوا من البـابا بندكت الرابع عشر عام ١٧٥١، كما كانت موضع ريبة سياسية فى الولايات الألمانية.

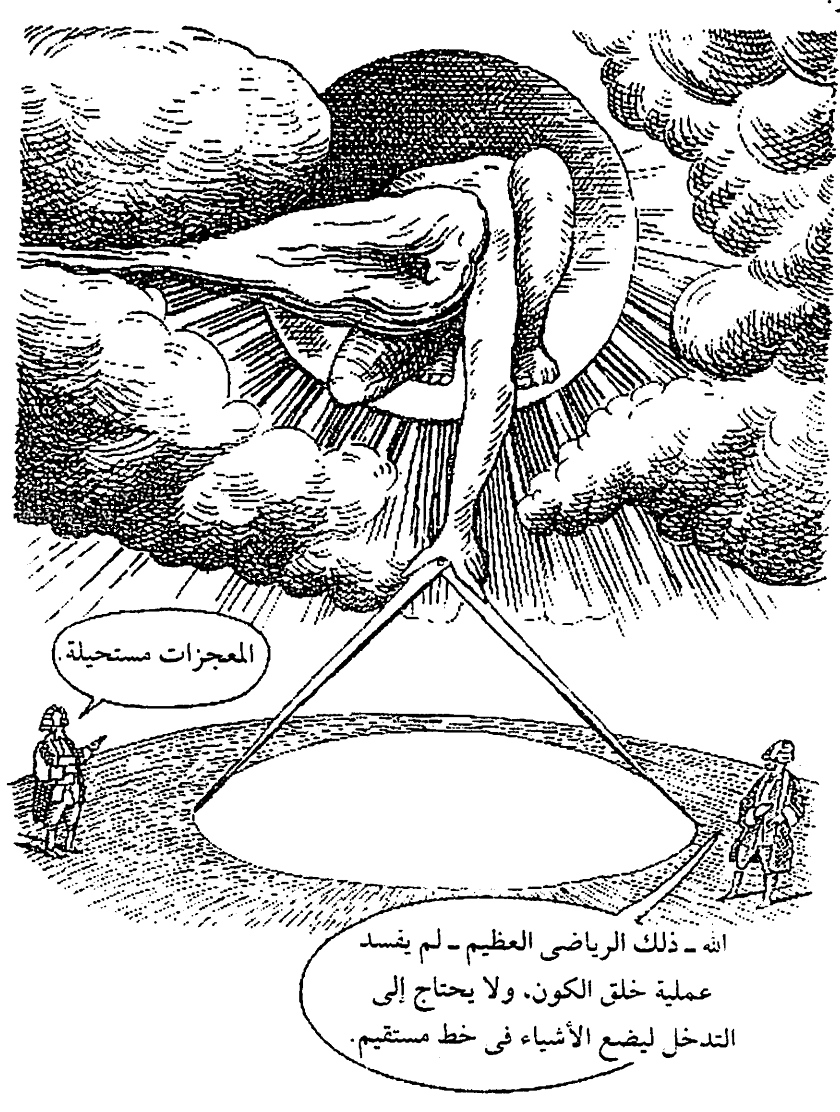
عندما استقـر آباء الثورة الأمريكية ـ ومعظمهم من الماسونيين ـ على مسوَّدة الدستور الأمريكية للولايات المتـحدة لم يذكروا الله بكلمة واحدة، فتومـاس چيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦)، وچيمس ماديسون (١٧٥١ ـ ١٨٣٦) سعيا بصفة خاصة إلى استبعاد الدين من الحياة العامة والسياسية.



لا تمتد السلطات المشروعة للحكومة إلا إلى تلك الأعمال التى تؤذى الآخرين فحسب، لكن لا يؤذينى فى شىء أن يقول جارى إن هناك عشرين إلها، أو يقول لا يوجد إله قط، فلا هذه ولا تلك تسرق جيبى أو تكسر ساقى.

صانع الساعات العظيم

يقترب عصر التنوير شيئًا فشيئًا من التوحيد بين الله وقوانين الطبيعة، فهو انتظام الطبيعة الذى كشفت عنه علوم نيوتن، فهى التى زودتنا بأعظم تجل يوثق به للألوهية، فالكون كله بجماله، واتساعه، وتصميمه المحكم، يشهد بحضور الإله، ومهارته الفائقة فهو مثل الساعاتى العظيم، خلق العالم، ووهبه قوانين ثابتة لا تتغير، لكى تسيِّره ثم تركه يسير.

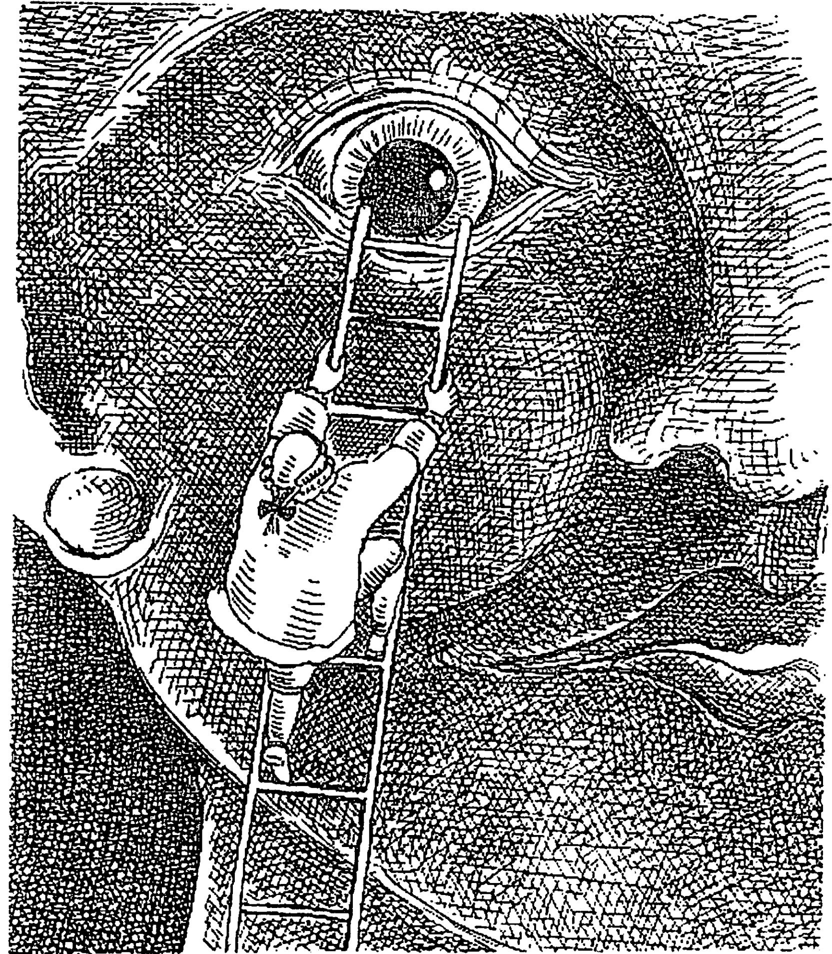


مذهب الشك عند ديفيد هيوم

لقد كانت المشكلة هى أن التراث المسيحى يبحث عن برهان على ألوهية المسيح عن طريق المعجزات التى شهدت بها الأناجيل، فالمعجزات مثل قيامة ألعازر بعد موته، أو فكرة القيامة (أو البعث) نفسها، هى كلها تتورط فى طرح قوانين الطبيعة نفسها التى كان الكثيرون فى عصر التنوير شغوفين فى التوحيد بينها وبين الله. ولقد ذهب ديفيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦) ـ الشخصية الرئيسية فى عصر التنوير فى أسكتلندا ـ أبعد من معظم مفكرى ذلك العصر.



كان ديفيد هيوم صانع معظم الهجمات المروعة ضد عقلانية الإيمان بالله، ربما أكثر من أى فيلسوف آخر، وكان عدد من الفلاسفة قبل هيوم قد اتهموا بالإلحاد،أما هيوم فقد كان أول فيلسوف عظيم يعترف بذلك، ولقد حاول أصدقاؤه إقناعه بعدم نشر كتابه الأول: «محاورات فى الدين الطبيعى»[1] (عام ١٧٧٩) إبان حياته.



لم تكن لى أى حجة مع فكرة الخالق، إلا أن أى عبارة تدعى وصف خصائصه وصفاته لابد من أن تكون ـ قطعا ـ عبارة غير منطقية؛ فلا يمكن الدفاع عن الإيمان بطريقة عقلية على الإطلاق.

(١) ترجمه الدكتور محمد فتحى الشنيطى، ونشرته مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٥٦ . (المترجم)

رسالة عن الطبيعة البشرية

اكتملت رسالة هيوم عن «الطبيعة البشرية» (١٧٣٩ ـ ١٧٤٠) عندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، وكان عنوانها الفرعى يصفها بأنها: «محاولة لإدخال منهج الاستدلال التجريبي فى موضوعات أخلاقية» ، فهى تمد وتطبق السيكولوجيا التجريبية التى كان چون لوك رائدا لها.



كان مـذهب الشك عند هيـوم متطرفـا لدرجة أنه هدد بتـقويض المفـهوم نفـسه الذى يستند إليـه العلم نفسه ؛ وأعنى به مـفهوم: السببية. فـإذا أخذنا مثال كـرة البلياردو التى يقذف بها على طاولة البلياردو، وهو يشير إلى أننا نستطيع تمييز السبب عن النتيجة، لكننا لا نستطيع أن نختبر «السببية».

فنحن نشاهد حـركة كرة البليـاردو الأولى (أو السبب إن شئـت) وهى تندفع بأقصى سرعـة نحو الكرة الثانيـة، نحن نشاهد حركـة (أو نتيجـة) الكرة الثانية بعـد أن تكون قد صدمت، لكننا لا نستطيع أن نعـزل أو نخبر السببية نفسها.

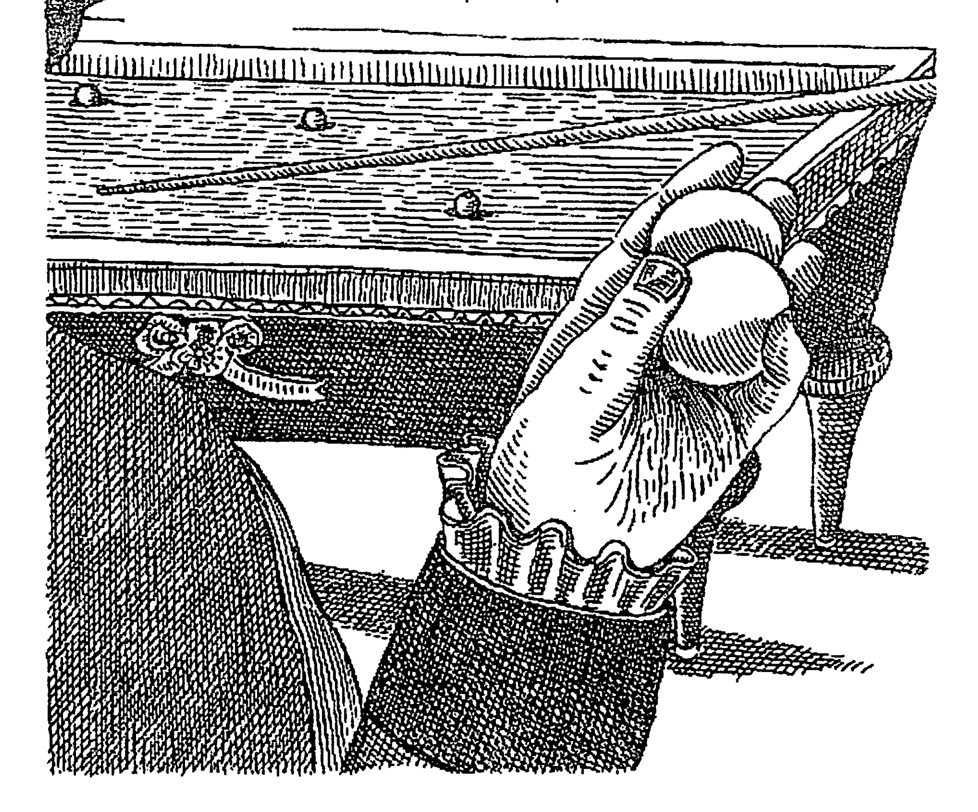
ويبدو الـعلم مرتكزا على أسـاس مهـتز مثل أساس الدين.



مذهب الشك عند هيوم ليس فقط تهديدا لوحدة العالم الخارجى، بل عالم التجربة ذاتها، و«الذات» تتجزأ شذرات فى تأملات هيوم المرعبة، فهى تعرض نفسها لحزمة من الإدراكات الحسية، وترتبط كل تجربة جزئية بلحظة جزئية من الزمان، ولحظة بعد ذلك تخلق انطباعا مختلفا ، ولا شيء يربط الإحساسين معا إلا العادة، «فالذات» ليست سوى فكرة مختلفة.

أين أنا، أو ماذا أكون؟ من أى الأسباب أستمد وجودى، وإلى أى الحالات سوف أعود؟.. أنا مرتبك مع كل هذه الأسئلة وبدأت أتخيل نفسى فى حالة يرثى لها، يملأنى ظلام عميق، محروم تماما من أى عضو وأية ملكة.

الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) يعلق على ذلك بقوله فى الأجزاء المتأخرة من الرسالة نسى هيوم كل ما يتعلق بشكوكه الأساسية ، وكتب مثل كثيرين من فلاسفة الأخلاق المستنيرين فى عصره، مطبقا على شكوكه العلاج الذى أوصى به، أعنى «الإهمال وعدم الاهتمام».



موسيقى عصر التنوير

مع ازدياد الحفلات الموسيقية العامة، وازدهار دور الأوبرا، قدَّمت هذه بديلا عن الرعاية التقليدية التى كان يقوم بها البلاط والكنيسة. وكان للموسيقيين الإيطاليين من أمثال أنطونيو ڤيڤالدى (١٦٧٨ ـ ١٧٤١) [١] ودمينيكو سكارلاتى (١٦٨٥ ـ ١٧٥٧) [٢] القيادة المبكرة. كان ڤيڤالدى غزير الإنتاج بالنسبة للموسيقى الدينية والأوبرا بما فى ذلك أكثر من ٤٥٠ كونشرتو، أما سكارلاتى الذى كتب أكثر من ٥٠٠ سوناتا من أجل لوحة المفاتيح فقد كان ابن ألسندرو سكارلاتى (١٦٦٠ ـ ١٧٢٥) [٣] مؤسس



(١) ڤيڤالدى (أنطونيو) (١٦٧٨ ـ ١٧٤١): مؤلف موسيقى وعازف كمان إيطالى درس الموسيقى على أبيه، والتحق بسلك الكهنوت عام ١٧٠٣ . كان غزير الإنتاج إلى حد بعيد فقد وضع نحوا من خمسين أوبرا، وألف أربعمائة كونشرتو أشهرها أربع تعرف باسم «الفصول الأربعة». (المترجم)

(٢) سكارلاتى، ألسندرو (١٦٦٠ ـ ١٧٧٥): مؤلف موسيقى إيطالى يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها، وأحد عمالقة الموسيقى العالمية. (المترجم)

(٣) ألسندرو سكارلاتى (١٦٦٠ ـ ١٧٢٥) مؤلف موسيقى إيطالى يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها وأحد عمالقة الموسيقى العالمية وضع ١٥٠ أوبرا وعددا من الألحان الدينية. (المترجم)

مدرسة نابليون فى الأوبرا. وفى عام ١٧٣٥ تقاعد جيوفانى باتستا برجوليزى (١٧١٠ ـ ١٧٣٦)[1] الذى عرف أنه سرعان ما سيموت واعتزل فى دير ليكتب «الأم الثكلى ..Stabat Mater » وهى قطعة حساسة من الموسيقى الدينية جعلته شهيرا.. وفى عام١٧٥٢ مثلت له أوبرا كوميدية هى«السيدة ـ الخادمة» التى أشعلت فى باريس نيران المعركة المعروفة باسم «حرب المهرجين» بين المؤيدين للجوانب التى تستحق الاحترام فى الأوبرا الإيطالية الجديدة وأنصار الأسلوب الفرنسى الكلاسيكى فى تراث چان ـ بابتست لولى (١٦٣٢ ـ ١٦٨٧)[2]، الذى كان ممثله الأساسى چان ـ فيلب رامو (١٦٣٣ ـ ١٧٦٤). ولقد اشترك الموسوعيون فى هذه الجلبة فروسو الذى كتب معظم المقالات الموسيقية للموسوعة، كان أيضًا مؤلفا لبعض الأوبرات الإيطالية الناجحة مثل «عرّاف القرية» ، وكان دفاع روسو عن المذهب الطبيعى فى الأوبرا مع الموسيقى التى تخدم العمل الدرامى ـ هو الذى طوّره كريستوف جلوك (١٧١٤ ـ ١٧٨٧) الذى عمل فى باريس وڤينا.

وكان كثير من الأعمال بطبيعتها دينية مثل «آلام المسيح وفق إنجيل متى» (عام ١٧٢٩) لـ . ج س. باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) [3] إلا أن باخ كتب أيضا موسيقى دنيوية مثل «كونشرتو براندنبرج عام» (١٧٢١) أصبح أبناه .C. P. E باخ و ج .س. باخ من أهم الموسيقيين فى القرن الثامن عشر.

---

(١) برجوليزى (جيوفانى باتستا) (١٧١٠ـ ١٧٣٦) : مؤلف موسيقى إيطالى أصيب بالسل فمات فى السادسة والعشرين من عمره. وضع عددًا من الألحان الكنسية ولكن شهرته تقوم على أعماله فى حقل الأوبرا. (المترجم)

(٢) مؤلف موسيقى وعازف إيطالى الأصل أقام بفرنسا وأشرف على تكوين أوركسترا يضم أربعة وعشرين عازفا للآلات الوترية. (المترجم)

(٣) يوهان سباستيان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠): يختتم عصر الباروك فى عالم الموسيقى، كتب الكثير من المطبوعات الموسيقية الدينية مثل: «آلام السيد المسيح وفق إنجيل القديس متى» و«موسيقى القداس» وغيرها. (المترجم)

فردرش هيندل (١٦٨٥ ـ ١٧٥٩) [(١)] وصل إلى إنجلترا عام ١٧١٠ فى السنة التى تأسست فيـها دار الأوبرا فى كوڤنت جاردن فى لندن، وكـان هيندل قد استـقر وضعـه كموسيـقار ألَّف خمسين أوبرا من الأسلوب الإيطالى، كمـا كتب أيضا عشرين من الأوراتوريو Oratorios [(٢)] وكان منها المسيح المنتظر التى مثلت لأول مرة فى دبلن عام ١٧٤٢ وكانت من أشهر أعماله، كما كتب موسيـقى للاحتفالات الملكيـة، وسخر چون چاى (١٦٨٥ ـ ١٧٣٢)[(٣)] من موضة الأوبرا الإيطالية فى مسرحيـته «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨ التى جسدت أغانى الشـارع الشعبية فى ذلك الوقت.

ظل فرانز چوزيف هايدن (١٧٣٢ ـ ١٨٠٩) [(٤)] على مـدى ثلاثين عاما يستخـدمه الأمـير إيستـرهازى كتب فيـها ١٠٤ سيمـفونيات، و [illegible]اعـيا [illegible] و٥٢ سوناتا للبيانو [illegible]أوبرات



ومـوسيـقى للكورال. وكثـير من فـلاسفـة التنوير سمعوا الصبى، الذى يبلغ من العمر سـبع سنوات «فـولفـجـانج أمـاديوس موتسارت» (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) وهو يعزف فى باريس، لقـد مـات موتسـارت وهو فى فقـر مدقع إلا أنه فى سنواته الأخيـرة كتب سميفونيـات رائعة وأوبرات عظيمة «زواج فـيجـارو» عام ١٧٨٦، و«دون جـيوفـانى» عـام ١٧٨٧ و«كـوزى فـان توت» عـام ١٧٩٠ و«الناى السحرى» عام ١٧٩١ التى طبعت بطابعها عصر التنوير.

---

(١) جورج فردرش هيندل (١٦٨٥ ـ ١٧٥٩): مؤلف مـوسيقى ألمانى ضاق ذرعا بـبلاط أمير هانوڤر بألمانيا فـرحل إلى إيطاليا ومنهـا إلى لندن عام ١٧١٠ التى أحبـها وشعـر أنه يستطيع أن يؤدى فيـها دورا فى خلق الأوبرا خلقـا متطورا وكتب كـثيرا من الأوبرا منهـا أوبرا «يوليو قـيصر فى مـصر» . (المترجم)

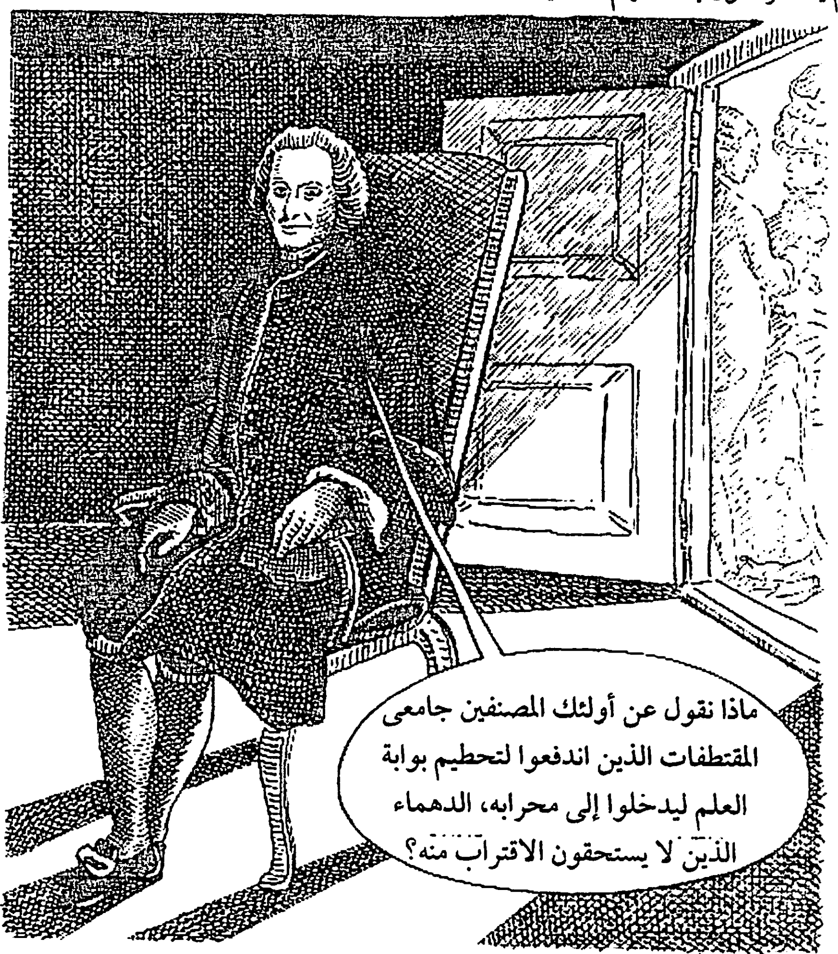
(٢) أوراتوريو Oratorio : لون من التأليف الموسيقى نشأ حوالى عام ١٦٠٠ ويتكون من نص دينى مسهب أعد إعدادًا دراميا ويشترك فى أدائه المغنون الفرادى والكورال، ولا يحتاج إلى تمثيل ومناظر بل يؤدى فى الكنيسة تلاوة وإنشادا . (المترجم)

(٣) چون جاى (١٦٨٥ ـ ١٧٣٢): شاعر وكاتب مسرحى إنجليزى تمتع فى عصره بمكانة مرموقة، أشهر آثاره المسرحية «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨ ، وقد صور فـيها التفسخ الخلقى فى المجتمع الإنجليزى . (المترجم)

(٤) فـرانز چوزيف هايدن (١٧٣٢ ـ ١٨٠٩): موسـيقار نمساوى بدأ فى التـأليف الموسيقى وهو فى الثامنة من عمره، وفى نهاية حياته كان قد قدّم أعمالا فى مختلف أنواع التأليف الموسيقى. (المترجم)

روسو المتوحش

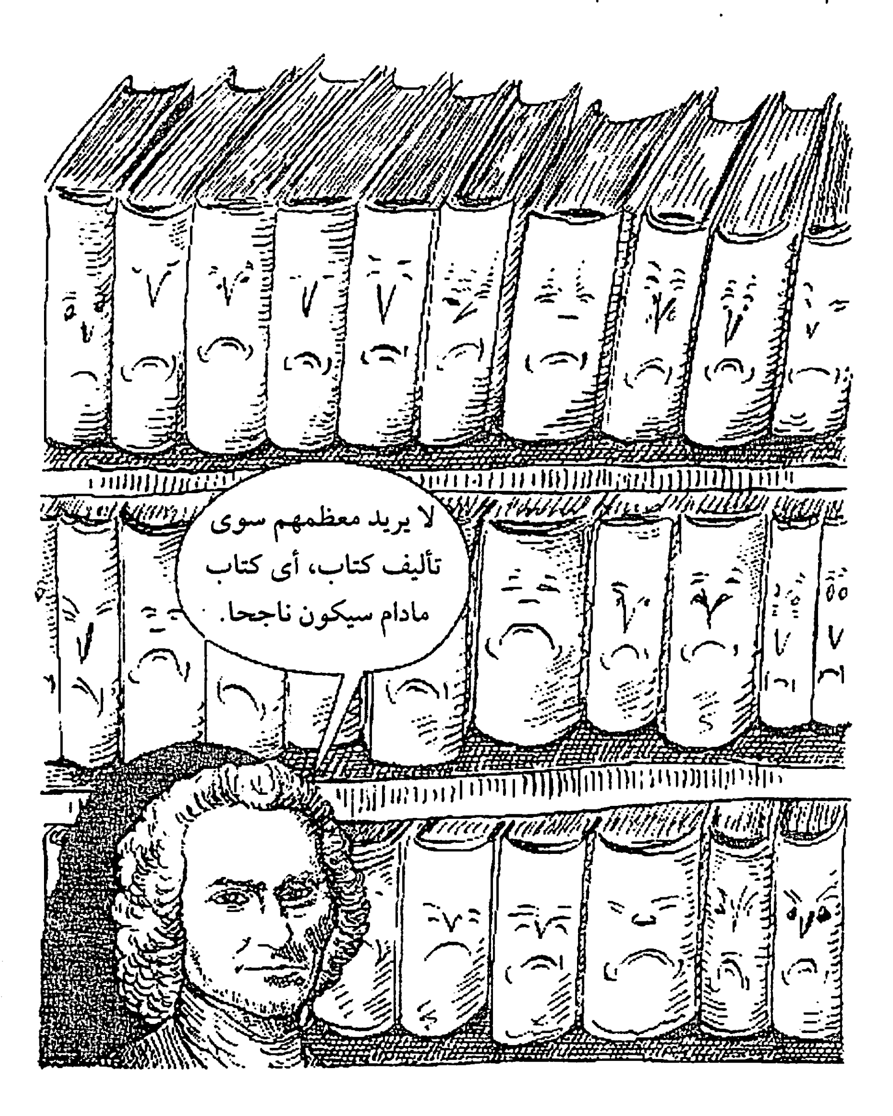
حوّل روسو نفسه إلى عدو لدود «للتكلف» بكل أشكاله، ولم تكن عداوته للأغنياء واضحة فحسب (مما أخاف ڤولتير) بل امتدت إلى كثير من أتباعه من فلاسفة التنوير، وهم يستعرضون بضاعتهم العقلية.



بدأ روسو فى الخمسينيات (١٧٥٠) يخرج شيئًا فشيئًا من دائرة التعاطف مع جماعة هولباخ، أو باريس بصفة عامة، وكانت هناك معارك ساخنة «مع موسوعات» أخرى، «لقد سئم من رجال الصالونات والحفلات وملّ من أولئك الذين يريدون استعراض أنفسهم»، وشعر بالضيق من «المنشورات، والبيانو القديم، ولعب الورق، والكلمات المعسولة الغبية، ورواة الحكايات ومعدّى حفلات العشاء الفاخر» (١٧٥٦).

رحلة إلى الباطن

«لقد التقيت برجال كثيرين تعلموا فى تفلسفهم أكثر منى، لكنهم فى تفلسفهم ظلت فلسفتهم خارجية عنهم، يرغبون فى أن يعرفوا أكثر من الآخرين، وهم يدرسون أعمال الكون، كما لو كانوا يستطيعون دراسة آلة عثروا عليها بسبب حب استطلاعهم المحض، ودرسوا الطبيعة البشرية ليتحدثوا عنها بلغة العارف بموضوعه، وليس لكى يعرفوا أنفسهم، ويوجهوا مجهوداتهم لإرشاد الآخرين، وليس لتنوير أنفسهم من الداخل...».



اعترافات روسو

يمثل روسو رجلا أسكره تنوير بديل، وهو رجل يصل إلى جمهور عريض؛ لأنه جمع أفكاره ووضعها فى رواية من أكثر الروايات رواجا هى «هلويز الجديدة» فى عام ١٧٦١، ثم فى رسالة تربوية تقرؤها كما لو كنت تقرأ قصة هى «إميل» عام ١٧٦٢ وكان جمهور القراء شغوفا بقصة أخرى هى قصة حياته.

وفى يناير عام ١٧٦٢ استقر رأى روسو على أن يعرض نفسه على شكل سلسلة من الرسائل إلى «ماليشرب» وهى التى شكّلت فيما بعد نواة كتابه «الاعترافات» (عام ١٧٨١ ـ ١٧٨٨).



كان فلاسفة التنوير جماعة علمانية اجتماعية مهذبة ، إلا أن روسو كان دائما يحترق بنيران دينية ، وكان فلاسفة التنوير ينظر الواحد منهم إلى الآخر فى صراع لتحديد الدفاع عن شريعة جديدة للفضيلة التى تكون حديثة وعامة. أما روسو فقد كان ينظر إلى الضمير على أنه المرجع الوحيد فى مسائل الأخلاق.

حذر ديدرو صديقه من مثل هذا النوع من الذاتية.

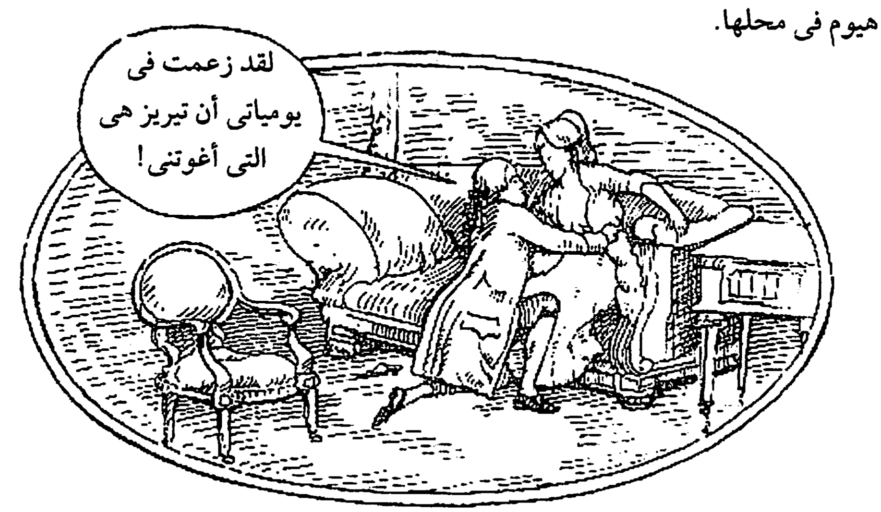


لقد عُنى روسو عناية فائقة بوجوده الباطنى، وذلك دليل على استعداده الطبيعى لجنون العظمة، غير أن الشخص المصاب بجنون العظمة يشعر أيضًا بالاضطهاد، وإن كان روسو كان يعانى بالفعل من الاضطهاد ثم جاء جنون العظمة ليزيد الأمر سوءا، ففى لحظة من اللحظات كان منزله يقذف بالحجارة، وكان يتخذ ملجأ وملاذا منزل سان بيير، إلا أن سلطات بيرن طردته.

ثم بعد ذلك، فى باريس عـرض عليه ديڤيد هيوم صاحب القلـب الطيب المساعدة بأن يعثر له فى إنجلترا على مكان يلجأ إليه.



لم تلحق تيـريزا ـ زوجة روسـو ـ به فى لندن إلا فـيمـا بعد. وعندمـا عرف هيـوم أن مرافقها فى السفر فاسق شهير هو چيمس بوزويل (كاتب سيرة دكتور جونسون) ارتعب من حادثة «قاتلة تمس شرف صديقنا» لقد انتـزعناها من فم فحل الخيل، وكانت مخاوف هيوم فى محلها.



الرومانسى الأول

عندما فسَّر روسو لـ «ماليشرب» قال له : «لقد فتشتُ عن مكان برّى فى الغابة» فى مكان فى عزلة هائلة ضاعت روحه.. «لا أفكر، ولا أستدل ، لكنى أشعر بنفسى بضرب من اللذة الحسية.. فى تفكك جوهر الكون،.. نشوة حلوة وعميقة تمسك بالحواس حتى أنك تفقد نفسك، فى لون من السكر اللذيذ، فى ذلك النظام البديع الذى توحد نفسك معه، عندئذ تهرب منك جميع الأشياء الحزينة بحيث لا ترى ولا تشعر إلا بالكل».



آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠)

آدم سميث ـ مثل صديقه ديڤيد هيوم ـ شخصية رئيسية فى التنوير فى اسكتلندا. كان الطفل الوحيد فى أسرة تعيش فى ظروف جيدة فى «كيركالدى» وهى قرية على شواطئ «فيرث فورث» كان والده موظفا فى الجمارك، توفى قبل ولادته بأشهر قليلة، فظل آدم قريبا من أمه طوال حياته. وقبل أن يتم الرابعة من عمره سرقته عصابة من الغجر، ومضى بعض الوقت قبل العثور عليه.

ولقد التحق سميث بكلية باليول بجامعة أكسفورد كطالب منحة عام ١٧٤٠ ، لكنه وصف الجامعة بأنها «غارقة فى المحظورات والتحاملات المجحفة».



صادرت سلطات الجامعة نسخة آدم سميث من كتاب ديڤيد هيوم الذى كان قد نشر حديثا وعنوانه: «رسالة عن الطبيعة البشرية» عام ١٧٣٩ ، الذى كان قد أعطاه له أستاذه فى جلاسجو الفيلسوف: فرانسيس هتشسون (١٦٩٤ ـ ١٧٤٦).

وعندما عـاد آدم سميث إلى اسكتلندا ألـقى سلسلة من المحاضرات العـامة فى الأدب الإنجليزى، وكـان الموضوع جديدا تماما، على جـمهور يتـألف من مائة من المواطنين، دفع كل واحـد منهم جنيهـا إنجليـزيا، ثم ألقى فى عام ١٧٥٠ ـ ١٧٥١ مـحاضـرة عامـة، فى الاقتصاد، هو موضوع لم يسمع عنه قط فى جامـعة أكسفورد ولا فى قاعاتها التى تتظاهر بالتقوى والصلاح، ولقد منحت هذه المحاضرات آدم سميث كرسيا فى جامعة جلاسجو، أولا أستاذًا للمنطق، ثم بعد ذلك أستاذًا للفلسفة الأخلاقية.

وكان أندرو كوشران، رئيس مجلس مدينة جلاسـجو، قد أسس لتوه ناديا للاقتصاد، وسجّل سميث عضواً فيه.



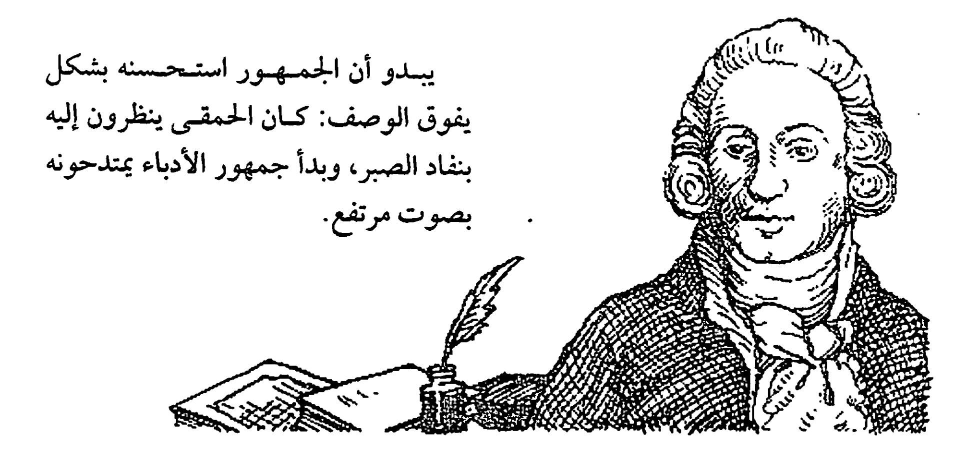
نظرية عن المشاعر الأخلاقية

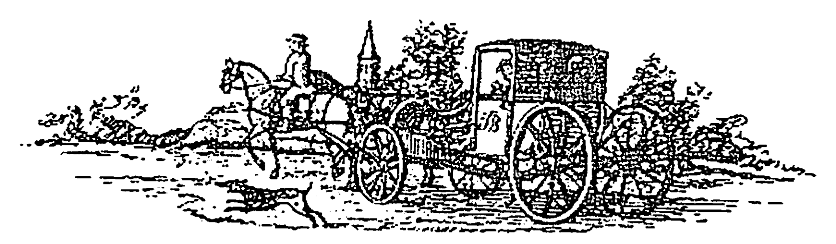
كان أول كتاب لـ «سميث» هو «نظرية عن المشاعر الأخلاقية» عام ١٧٥٩ وهو بحث قانون فى فلسفة الأخلاق: طبيعتها وسيكولوجيتها، وهو يبين طريقة سميث فى التفسيرات البسيطة للمشكلات المعقدة، فهو يصف المشاعر الأخلاقية بأسلوب بسيط من الكلمات . فهناك «رجل داخلى» ومشاهد محايد داخل كل منا يصدر الأحكام على كل ما نفعله من وجهة نظر الآخرين.



كتب ديڤيد هيوم من لندن ليروى نجاح كتاب صديقه.

يبدو أن الجمهور استحسنه بشكل يفوق الوصف: كان الحمقى ينظرون إليه بنفاد الصبر، وبدأ جمهور الأدباء يمتدحونه بصوت مرتفع.





تقاعد سميث من كرسى جامعة جلاسجو لكى يعمل معلما خصوصيا للشاب دوق «بوكلش» وبصفة خاصة ليصحب الدوق فى جولة كبيرة فى أوروبا (١). وكذلك مقابلة ڤولتير فى جنيف، وصديقه ديڤيد هيوم فى باريس، وكان سميث قد قيده فرانسوا كيناى (١٦٩٤ ـ ١٧٧٤) فى المقابل الفرنسى للنادى الاقتصادى السياسى. وكان كيناى طبيب الملك، ويقيم فى فرساى عن طريق مدام دى بمبادور.



ولقد أصبح تلامذة كيناى فى الاقتصاد مشهورين فيما بعد باسم «الفزوقراط» الذين ذهبوا إلى أن الإنتاج ـ وليس التبادل ـ هو الذى يخلق الثروة والفائض المتاح للتراكم. ولقد شعر آدم سميث بأنه فى بيته تماما وواصل العمل فى كتابه الكبير: «ثروة الأمم».

---

(١) Grand Tout: رحلة تعليمية فى أهم أنحاء أوربا كان يقوم بها شباب الأشراف الإنجليز فى القرن الثامن عشر. (المترجم)

ثروة الأمم عام ١٧٧٦

يفتتح كتاب آدم سميث «ثروة الأمم» بمثال شهير عن مصنع دبابيس يقوم فى جلاسجو على أعمال الحديد التى تسمى «مصنع المسامير»، وقد استمتع بزيارته عندما كان طالبا فى المدرسة، ولقد مكّن تقسيم العمل عشرة من العمال من إنتاج ٤٨,٠٠٠ دبوس فى اليوم الواحد.



لم يستحسن سميث تدخل الحكومة فيما رأى أنه الدينامية الطبيعية للعرض والطلب، فالتجارة الحرة هى حجر الزاوية فى الاقتصاد السياسى عنده، ولقد قدم كتابه حججا لاستبعاد التعريفة الجمركية والرسوم، والاحتكارات، وتشجيع مشروعات السوق الحرة من جانب الأفراد، وفى هذه النقاط كان سميث على وفاق مع سياسة «دعه يعمل، دعه يمر» التى دافع عنها الفزوقراط.

اليد غير المرئية

فى تفسير سميث أن علاقات السوق تشجع حرية الأفراد كما تعمل على حرية الأمم، إنه عن طريق تفاعل السوق؛ أى عملية البيع والشراء، يصبح العامل الفقير حرا فى التعاقد على الأجور، وأن يترك الظروف الصعبة ويبحث عن ظروف أفضل.



وسواء أكان العمال كأفراد ـ والطبقة العاملة بالكامل ـ معانون من زيادة فى التعامل النسبى، فإنهم مع ذلك يتمتعون بتحسن مطلق فى مستوى معيشتهم، وعلى ذلك فإنه على الرغم من أنه يقع على عاتق الأفراد السعى لتحقيق مصالحهم الخاصة، فإن النظام يكشف عن وجود يد خفية غير مرئية تقدم مصالح المجتمع، ويتصالح التفاوت الاجتماعى مع مؤن كافية للفقراء.

سميث و روسو

أدرك سميث أن هناك جانبا مظلما فى تقسيم العمل، وبما أن العامل كان محصورا فى بعض عمليات غاية فى البساطة، فلابد له من أن يصبح فى النهاية «غبيا وجاهلا بمقدار ما يمكن للموجود البشرى أن يصبح كذلك». وتفسيره لانتزاع الجانب الإنسانى واضح للغاية كأى تفسير حديث للاغتراب الصناعى.



لو أن الناس اختاروا لظلوا على مسافة من «المنحدر الوعر للمجتمع» عن طريق حكمهم على سلوكهم من منظور الهيمنة للمشاهد غير المتحيز، وبالطريقة التى سبق أن لخصها فى كتابه «نظرية عن المشاعر الأخلاقية».

سـميـث وروسو يمثـلان مـعـا رواية التاريـخ البشـرى الذى تتـشـابك فـيه الأخـلاق والاقتصاد، انتقال الجنس البشرى من البسـاطة المتوحشة إلى العالم الحديث: عالم الملكية الخاصة والتكلف واللامساواة

لقد تصور سميث «حالة الطبيعة» الأصلية حالةً من الندرة. فالحرية البشرية لا تنتج إلا من التطور التاريخى الحلزونى الذى يؤدى فـيه التعاون والتبادل إلى تقـسيم العمل وخلق الفائض.



آدم سيـمث عن السوق فى الأفكار يقـول : «فى المجتمع التـجارى أو الثـرى فإنه إلى جانب أنه: لكى تفكر أو يظهر الاستدلال فإنه مثل أى وظيفة أخرى: عمل جزئى تقوم به مجموعة ضئيلة جدا من الناس الذين يـزودون الجمهور بجميع الأفكار والاستدلال التى تملكها مجموعات هائلة من البشر هى التى تعمل. وهناك فقط جزء صغير جدا من معرفة أى شخص عـادى هذا الذى يقوم بالمشـاهدة الشخـصية والتـأمل، أما بقـية الأجزاء فـقد اشتـراها كما يشتـرى حذاءه أو جواربه من أولئك الذين يصنـعونها أو يجهـزون للسوق تلك الأنواع الخاصة من السلع».

صاموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤)(١)

ولد جونسون ابنا لبائع الكتب فى «ليتشفيلد» ، وكان قارئًا جيدا بالفعل عندما ذهب إلى أكسفورد، إلا أن ضيق ذات اليد اضطره للانسحاب من الدراسة، لكنه تلقى درجة الدكتوراه فى النهاية عام ١٧٦٤ وسرّه أن يصبح «دكتور جونسون».



عمل جونسون وعاش فى غموض نسبى، فقد بدأ حياته من الصفر صحفيا ومترجمًا فى برمنجهام قبل أن يستقر فى لندن عام ١٧٣٧ حيث أصبح فى النهاية شخصية أدبية لامعة، ولقد عمل منذ عام ١٧٤٦ حتى عام ١٧٥٥ فى أكثر مشروعاته طموحا: «معجم اللغة الإنجليزية» الذى كتب فيه هو نفسه أكثر من ٤٠٠٠٠ مادة مدرجة من المعجم، وكان استخدامه المسرف للاقتباسات الأدبية، تجديدا حقيقيا فى «معجم جونسون» ظل مصدر ثقة حتى ظهور معجم أكسفورد للغة الإنجليزية عام ١٨٨٤.



وفى عام ١٧٦٤ أسس جونسون «النادى» الذى نعم فيه بصحبة رجال من أمثال يشوع رينولدز، ورجل البرلمان إدموند بيرك، والكاتب المسرحى أوليڤر جولد سميث.

---

(١) صاموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) : كاتب وشاعر وناقد وصحفى ومعجمى إنجليزى يعرف عادة بـ «الدكتور جونسون» بسبب الدكتوراه الفخرية التى منحته إياها جامعة دبلن (عام ١٧٦٥) وتلك التى منحته إياها جامعة أكسفورد عام ١٧٧٥ ، يعتبر أحد أبرز وجوه الحياة الأدبية فى القرن الثامن عشر، أشهر آثاره معجم اللغة الإنجليزية عام ١٧٥٥. (المترجم)

سميث ينضم إلى نادى دكتور جونسون الأدبى

فى ربيع عام ١٧٧٣ ذهب آدم سميث إلى لندن مع ما اعتقد أنه مخطوطة تامة لكتابه «ثروة الأمم» ، وهناك كان يتناول طعام العشاء مع دكتور جونسون، وإدموند بيرك، وإدوار جيبون، وديفيد جاريك، وسير يشوع رينولدز، وأوليڤر جولد سميث.



بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠)

كان بنيامين فرانكلين ـ بطريقته الخاصة ـ مثالا نموذجيا لساكن الغابة فى عصر التنوير، «المتوحش النبيل»، علَّم نفسه حتى أصبح عالما يهتم بكل شىء. اكتسبت تجاربه فى الضوء والكهرباء أهمية رمزية لعصر استحوذت عليه قوى جديدة فى العلم والتكنولوجيا. لعدة عقود نشر فرانكين: « تقويم ريتشارد المسكين» تقاطع بين الموسوعة والصحيفة ومجموعة من الأمثولات التى تستهدف مساعدة الإنسان لنفسه والتحسين



لقد كان فرانكلين يُعرف فى صالونات باريس بأنه الفيلسوف التنويرى والعالم الحقيقى حتى قبل أن تصبح الثورة الأمريكية سببا للشهرة والإثارة فى أوروبا.

الثورة الأمريكية

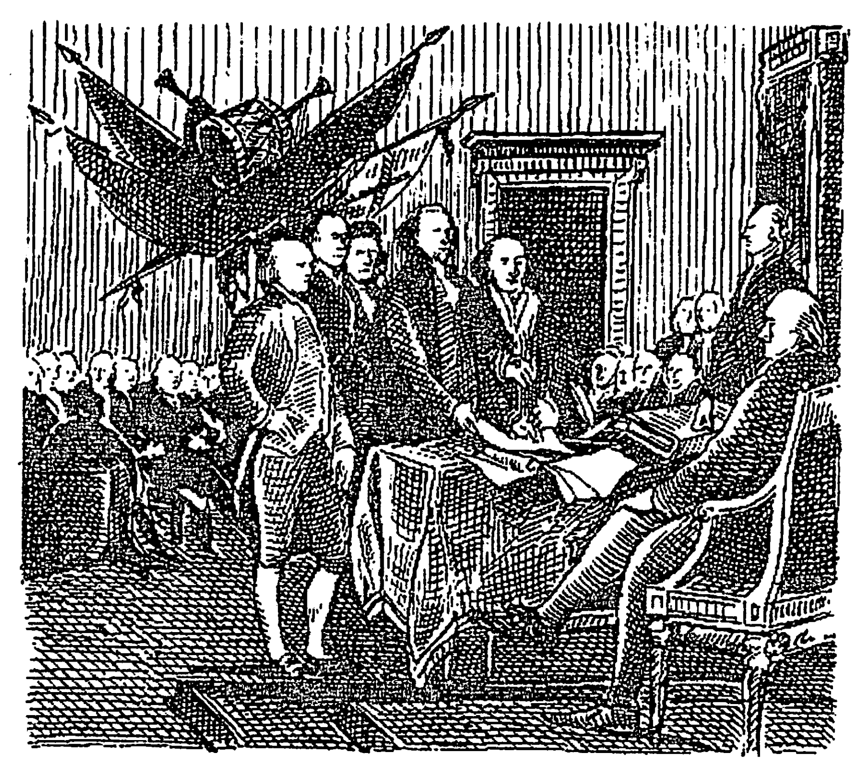
الإيمان بتفاؤل لا حد له فى التقدم وفرص المساواة وجد أرضا خصبة فى أمريكا فى القرن الثامن عشر، التى ظهرت لتجسيد عصر التنوير فى حالة فعل.



إعلان حقوق الإنسان

كان سكان المستعمرات الأمريكية ينظر إليهم على أنهم متمردون مكروهون، ولقد ظلوا لعدة عقود يقدمون التماسات وتوسلات للحكومة الإنجليزية يطلبون منها فقط أن تسمح لهم بالحريات نفسها التي يتمتع بها الرعايا الإنجليز في وطنهم.

ثم في النهاية أشعلوا حرب الاستقلال، وبدأ «إعلان الاستقلال» بصوته المدوِّي، وصياغته التي لا تنسى، بعرض لمبادئ كان چون لوك أول من أكدها في عصر الثورة المجيدة في إنجلترا.



« نحن نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها وهي أن الناس جميعا ولدوا متساوين وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا يمكن التنازل عنها، من بينها: الحياة ، والحرية، وحق البحث عن السعادة ».

لم يتحدث چون لوك إلا عن الحياة، والحرية، والملكية الخاصة، لكن فى «أرض الفرص» حتى هؤلاء مع ملكية ضئيلة يمكنهم البحث عن السعادة، وحتى الثوريين الأمريكيين المكروهين كانوا محظوظين، فلم يلتقوا أبدا بمشهد الجوع والجماهير نصف العاطلة، ففى العالم الجديد حتى الفقير كان قادراً على أن يجد تربة صالحة وبالتالى يهرب من البؤس والظلام اللذين كان يعانى منهما الكثيرون من سكان أوروبا. عندما لاحظ بنيامين فرانكلين حالة فقراء باريس، وجد نفسه يفكر كثيرا فى سعادة إنجلترا الجديدة.



فى العالم القديم الذى يسكنه عشرون مليونًا من البشر يوجد تسعة عشر مليونًا أشد بؤسا وأكثر لعنة فى كل ظروف الوجود البشرى من أى فرد بائس فى الولايات المتحدة كلها.

الفقير والعبيد

لم يكن العالم الجديد بلا فقر، فالواقع أن الآباء المؤسسين كانوا مقتنعين بأن التفرقة بين الغنى والفقير تفرقة أزلية . لقد سعوا للقيام بثورتهم وهم يحملون هذا الإيمان، وفيما بعد إبان الثورة الفرنسية، ساعدت مطالب أكثر أجزاء المجتمع بؤسا فى التعجيل بأقصى درجات العنف إبان عهد الإرهاب.



كان توماس جيفرسون هو المؤلف الحقيقى «لإعلان حقوق الانسان» يملك عبيدًا شأنه شأن بقية الآباء المؤسسين، غير أنه أزعجته واقعة الرق فى بلاد تتأسس على حقوق كلية.

كنتُ أرتعد خوفا على بلادى عندما أفكر أن الله عادل أو أن عدالته لا يمكن أن تنام إلى الأبد . التجارة بين السيد والعبد هى الاستبداد، ولم يكتب شىء فى كتاب القدر أشد يقينا من أن هؤلاء الناس ينبغى أن يتحرروا.

إدانة الرق

اتبع ممثلو عصر التنوير المتعددون نموذج مونتسكيو وأدانوا الرق، بوصفه ممارسة لا تليق بالإنسان المتحضر، كما أنها تسير فى معارضة الإيمان المستنير بالجانب الإنسانى المشترك.



غير أن المعارضة المبدأية للرق جاءت أساسا من بين الإنجيليين من الكويكرز، وكذلك المنهجيين أو الأنجليكان[1]، الذين أدانوا الرق واعتبروه خطيئة، وفى عام ١٧٨٧ ظهرت جمعية إلغاء الرق فى بريطانيا، ثم تبعتها بعد عام جمعية أصدقاء السود فى فرنسا.

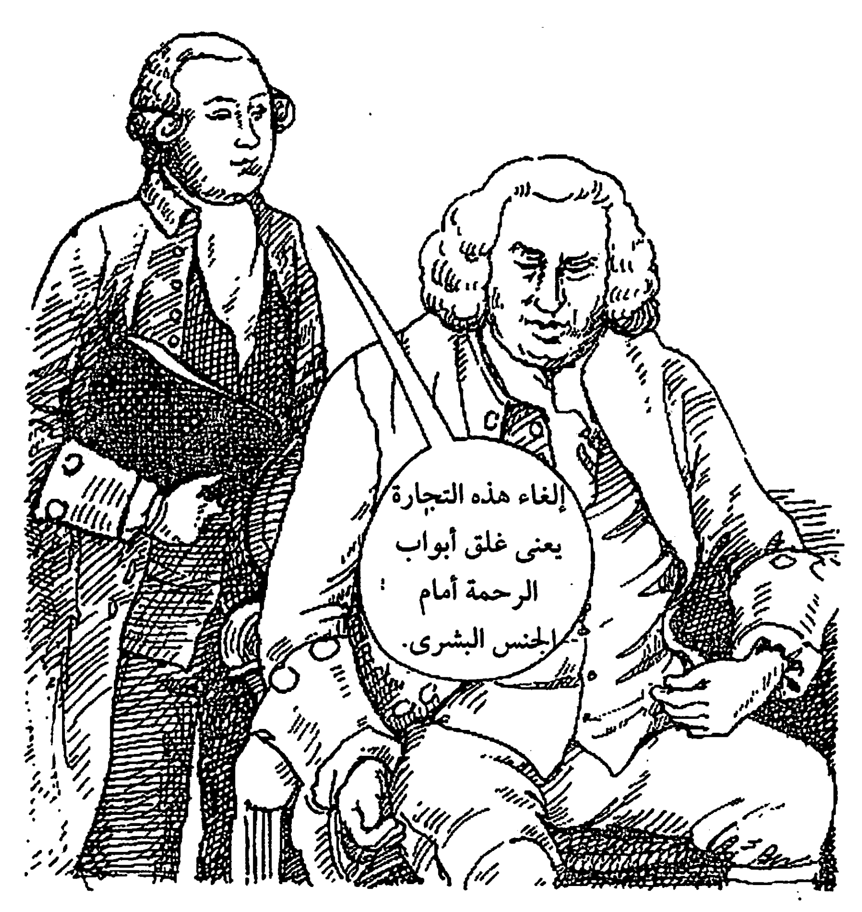
---

(١) الإنجيلى: هو الواعظ البروتستانتى، والميثوديون أو المنهجيون: طائفة بروتستانتية، أما الأنجليكان: فهم أتباع كنيسة إنجلترا. (المترجم)

دفاع عن الرق

كان الدفاع عن الرق فى جميع قطاعات المجتمع أكثر شيوعا عما يمكن أن يعترف به - بصفة عامة - چيمس بوزويل. بعد روايته لمعارضة صموئيل جونسون للرق، رجا أن نترك حتى الآن «احتجاجه الخاص الرهيب ضد نظريته العامة فى احترام تجارة الرق».

إلغاء وضع صادق عليه الله فى كل العصور وواصله الإنسان لن يكون سرقة فحسب لطبقة لا حصر لعددها لزملائنا من الرعايا، بل ستكون قسوة متناهية للمتوحشين الأفارقة، سيوفر على جزء منهم مجزرة أو عبودية لا تحتمل فى وطنهم هم، ويدخل فى حالة أكبر من السعادة فى الحياة لا سيما عندما ينقلون إلى الهند الغربية ويعاملون معاملة إنسانية.



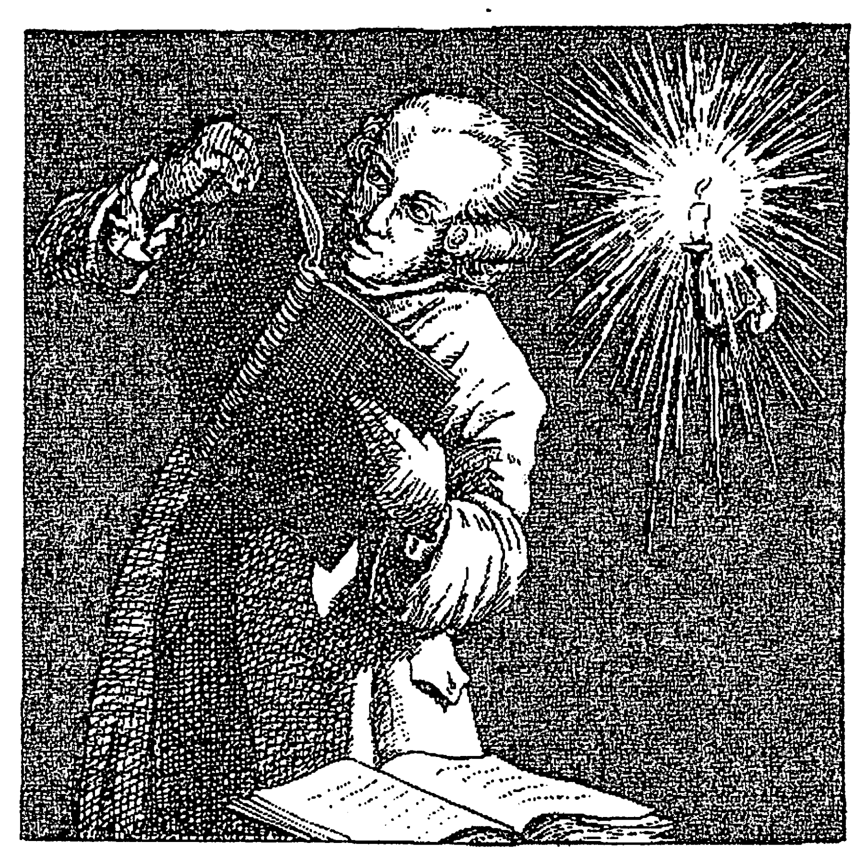
إمانويل كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤)

جاء عصر التنوير فى ألمانيا متأخرا لكنه أنتج عمالقة فى الفلسفة من أمثال إمانويل كانط، الذى بدأ بتراث الميتافيزيقا من ذلك النوع الذى رفضه فلاسفة التنوير الفرنسيين من الناحية التجريبية. عرض كانط آراءه فى كتابه الرئيس «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ الذى ينظم حدود الميتافيزيقا ويزودنا بأساس نقدى لنوع من المعرفة نستمده من العلم الطبيعى.



كافح كانط لحل التوتر الذى أدى إلى الفُرقة بين روسو والموسوعيين، إلا أن هذا التوتر ظل واضحا فى تفرقة كانط المطلقة بين ما يمكن لنا معرفته علميا ـ عالم الظواهر أو الظاهريات ـ والعالم الداخلى أو النيومين: عالم القانون الخلقى.

كان التـزام كانط بالعـقل، وبالسلام، وبالتـقدم، وبمجـموعة كـاملة من البحـوث قد وضعه فى صف واحد مع القـادة من فلاسفة التنوير، لكن ما يميز كـانط كفيلسوف ألمانى بشأن مـؤلفاته النقدية، ويجـعله معارضـا تماما لروح فلاسـفة التنوير، هو طمـوحه لخلق مذهب فلسـفى كامل تام وشامل. لقـد اعتقـد كانط ـ نتيجـة لنبذه كل نتائج الميتافيـزيقا السابقة ـ أن الحقيقة أصبحت الآن هدفا يمكن بلوغه «قبل نهاية القرن الثامن عشر».

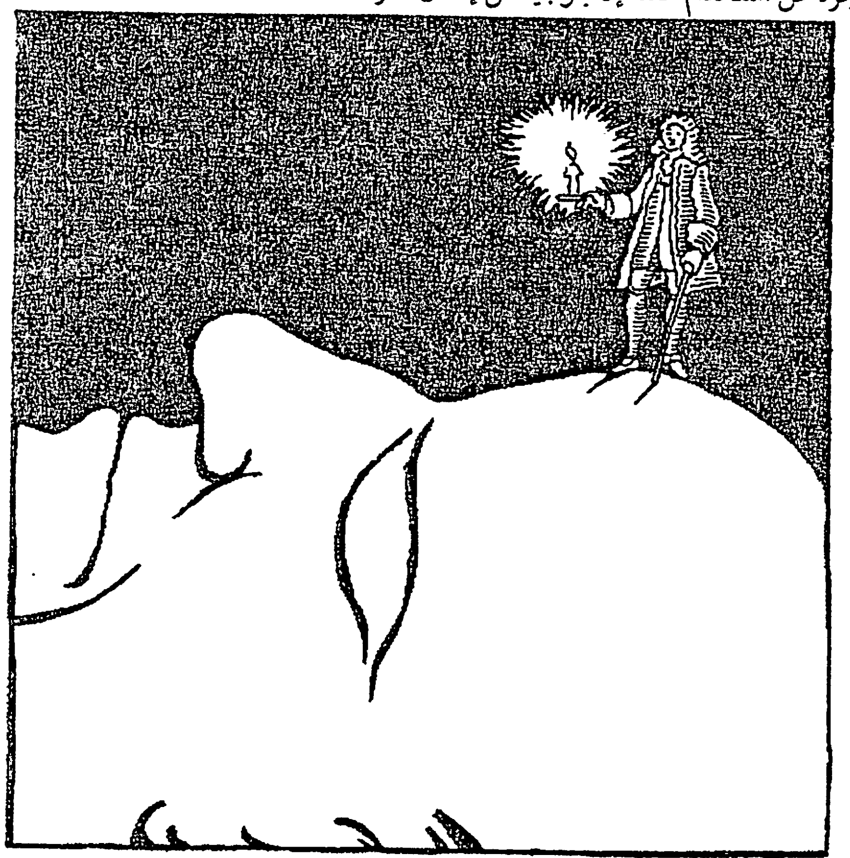


الطريق النقدى هو وحـده الذى لا يزال مفتوحا، وإذا كـان لا يزال لدى القارئ الرقة والصبر ليسـير بصحبتى فى هذا الطريق فإنه الآن قـادر على أن يحكم ما إذا كان.. ما لم تستـطع إنجازه قرون عـدة يمكن الآن بلوغه قـبل نهاية القـرن الحالى؛ أعنى إعطاء الـعقل البشرى الرضا التام عما كان باستمرار يشغل فضوله لكنه ظل حتى الآن عبثا.

ما المقصود بعصر التنوير؟

فى عام ١٧٨٤ كان عصر التنوير قد بلغ مائة عام من عمره، وقد سألت إحدى المجلات الألمانية قراءها الإجابة عن هذا السؤال وهو: ما المقصود بعصر التنوير؟ أو ما التنوير؟ وكانت هناك إجابات متعددة من قادة الثقافة فى ألمانيا، ومن بينهم كانط الذى أصبح الآن شهيرًا كأستاذ للفلسفة [١].

التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذى اقترفه فى حق نفسه، وهذا القصور هو عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.



(١) نشر قسيس بروتستانتى مغمور مقالا فى «مجلة برلين الشهرية» تساءل فيه عن معنى التنوير، وانبرى الفيلسوف اليهودى موس مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) للرد عليه بمقال «حول السؤال: ما التنوير؟» ثم نشر كانط مقاله الذى يشير إليه المؤلف قبل أن يطلع على مقال صديقه مندلسون، راجع فى ذلك كله ترجمة مقال كانط: ما التنوير؟ فى الكتاب التذكارى للدكتور زكى نجيب محمود الذى أصدرته جامعة الكويت عام ١٩٨٧. (المترجم)

«تشجع واعرف! فلتكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك»، هذا هو شعار كانط لعصر التنوير، وكلمات كانط تلخص رؤية يشاركه فيها العديد من القادة المثقفين ومن الباحثين والعلماء فى القرن الثامن عشر. ثم استمر ليسأل: ما نوع القيود السياسية التى تشكل عقبة أمام التنوير؟

إن الاستخدام العام لعقل المرء لابد من أن يكون حرا على الدوام، وهو وحده الذى يمكن أن يكون مستنيراً بين البشر.



معارضة عصر التنوير

كان نجاح عصر التنوير عظيما، حتى أنه يصعب أن تجد شخصا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر لا يشارك فى آفاقه ولا فى تحاملاته. لم يأت ردّ الفعل لثقة عصر التنوير فى العقل من الديانة الأرثوذكسية وحدها، بل أيضا من أحلام «السكر الإلهى» عند أشخاص مثل «هامان » أو «بليك» اللذين كان لهما تأثير دائم حتى ولو كان من تحت الأرض.

لم يكن هناك أحد أشد شراسة فى معارضته لعبادة العقل المنتشرة فى ذلك الوقت من وليم بليك (١٧٥٧ ـ ١٨٢٧) [1]، كان بليك متحمسا للثورة الفرنسية بقدر ما كان قلقا من الثورة الصناعية، ولقد فضح «طواحين الظلام الشيطانية» والبؤس البشرى الذى يعانى منه جماهير العمال الذين تكتظ بهم المصانع. وفى عام ١٧٨٩ ـ وهو العام الذى نشبت فيه الثورة الفرنسية ـ نشر وليم بليك «زواج الجنة والنار» وهو كتاب شعر يعارض الحكمة العقلية.



(١) شاعر ورسام ومتصوف إنجليزى، غلبت الرمزية على آثاره وبخاصة المتأخرة منها. أشهر أعماله الشعرية «أغانى البراءة» عام ١٧٨٩ ، و«أغانى الخبرة» عام ١٧٩٤ . قام بعمل رسومات مائية ملحمة دانتى «الكوميديا الإلهية » عام ١٨٢٥ . (المترجم)

ولقد ردَّ بليك بعنف ـ في تفسيره «لمقالات» سير يشوع رينولدز ـ على معالجة عصر التنوير للخيـال، ففى رأى بلـيك أن رينولدز أسس نفسه على بحث إدمـوند بيـرك عن «الجليل» الذى يقوم بدوره على أساس فلسفتى فرانسيس بيكون وچون لوك.



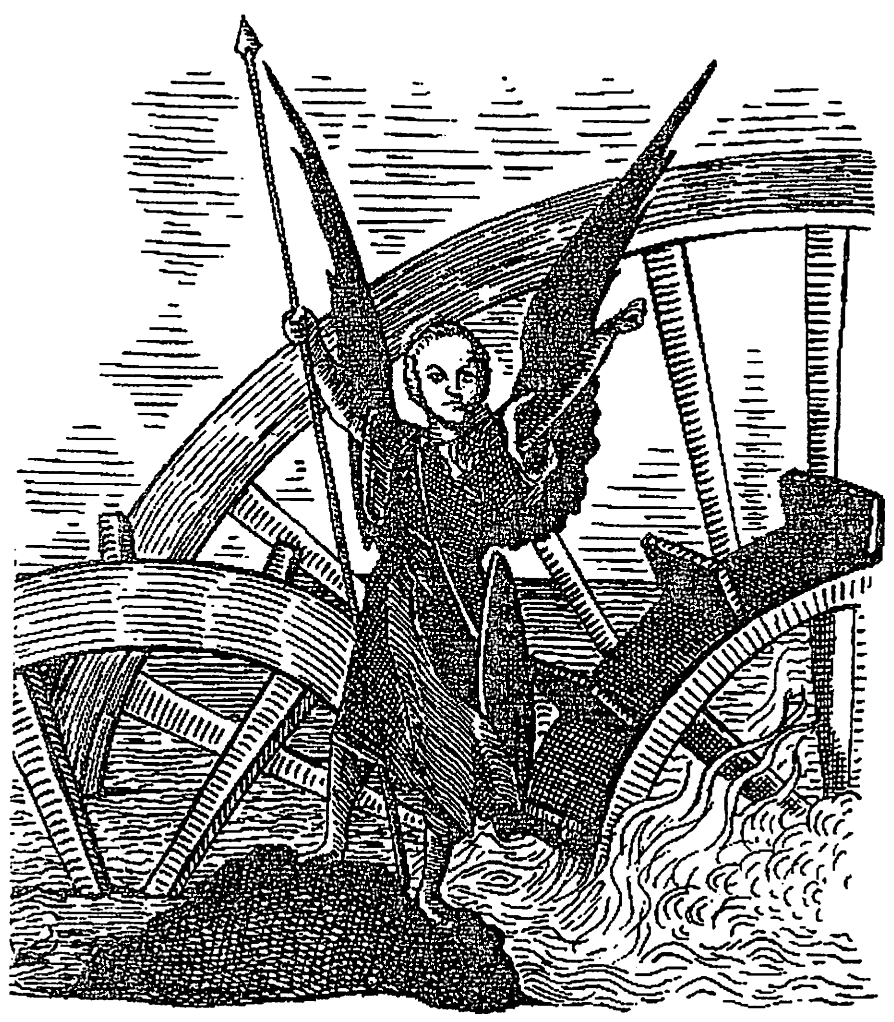
«سخروا من الإلهام والرؤيا، وهما كانا مـوجـودين وهمـا الآن كـذلك، وآمل أن يظلا كذلك أيضًا عنصرى، وموطنى الذى أعيش فيه للأبد... حماسى هو كل شيء.

لقد دمـرت فلسفـة بيكون إنجلترا، كـما دمرت الفن والعلم.

اللهم احفظنا..

من الرؤية الواحدة ومن غفوة نيوتن!».

وليم بليك: من رسالة إلى توماس بطس. فى ٢٢ نوفمبر عام ١٨٠٢.



فى لغة رؤاه الكاشفة للغيب شخَّص بليك المجتمع بأنه مجتمع الآلات الذى ردت أفكاره المادية والحتمية الإنسان إلى مجرد آلة.

كلما أدرت عينى فى مدارس وجامعات أوروبا، رأيت نول لوك لحمته الغضب والكآبة تغسله دواليب الماء لنيوتن: نسيج أسود فى سحابة كثيفة من الدخان تطوق كل أمة، رأيت أعمالا قاسية تقوم بها كل عجلة، بدون عجلة، تروس العجلة، حركة قاسية حيث تضغط كل منها على الأخرى...

چورج هامان (١٧٣٠ ـ ١٧٨٨)

فى عام ١٧٦٨ وفى مـدينة كونجسبـرج، وفى حديقة التاجـر الإنجليزى مستـر جرين، قال كـانط إن علم الفلك قد بلغ تلك الدرجـة من الكمال التى تجعل من غـير الممكن أن يتقبل افتـراضات جديدة. إن كانط الذى كانت عقليته تـرتاح للنظام يمكن أن يقبل واقعة أن العلم يبدو أنه انغلق على هذا النحو.

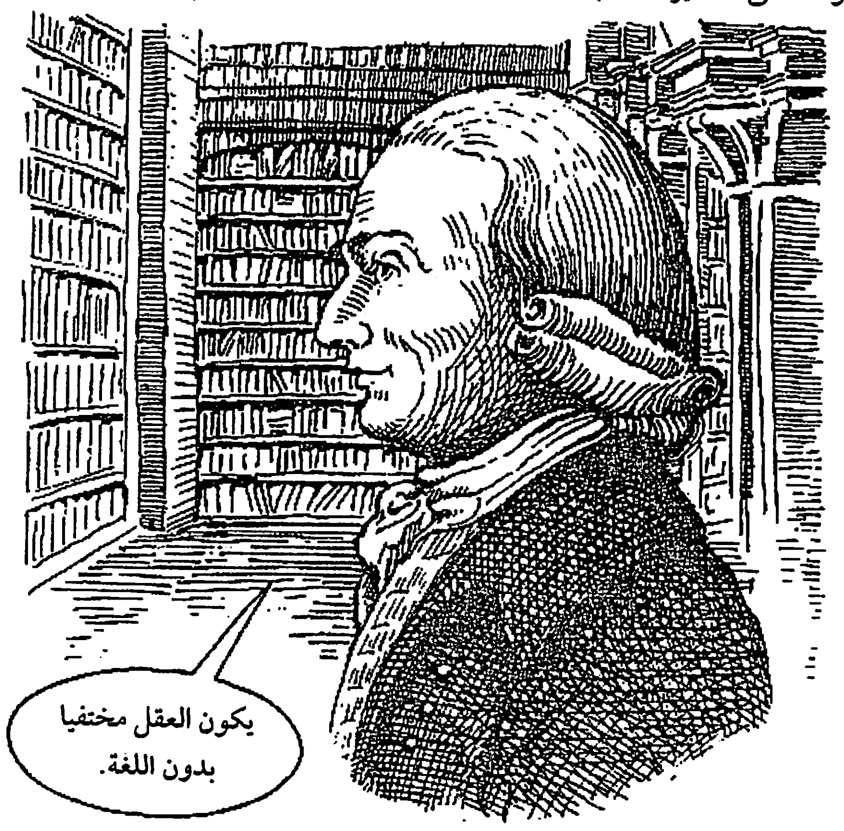


إننى أنظر إلى أفـضل برهان فى الفلسفة عـلى أنه أشبه بالفـتاة الرشيـد التى تنظر إلى الخطاب الغرامى بلذة لكن بريبة.

اللغة، أورجانون[1] العقل

فى حين أن بليك كان غاضبا من الطريقة التى هبط بها عصر التنوير فى تقديره للخيال، فإن هامان قد اعتقد أن عصر التنوير جعل من نفسه سخرية عندما تغاضى عن دور اللغة.

كل حديث عاطل عن العقل هو قبض الريح، فليست القدرة على التفكير كلها متوقفة على التفكير فحسب، وإنما اللغة هى أيضًا، مركز سوء الفهم للعقل مع نفسه.



أنا على وشك الظن بأن فلسفتنا بأسرها تحتوى على قدر من اللغة أكثر من العقل، وسوء الفهم للعديد من الكلمات، ولقد خلق تشخيص التجريدات التعسفية عالما كاملا من المشكلات حاولت عبثا حله على نحو ما خلقته.

---

(١) الأورجانون Organon ؛ أى الأداة أو الوسيلة أو الطريقة. (المترجم)

العاصفة والاندفاع

على الرغم من تشجيع فردريك الأكبر ملك روسيا، فإن عصر التنوير فشل فى أن يتقدم فى عملية الترقيع فى الإمارات التى تتحدث اللغة الألمانية. قادته مجموعة من «الشباب الغضاب» الذين ابتكروا بدعة جديدة للاحتجاج العاصف والانفعال الكثيف، وهى التى تعرف اليوم باسم «العاصفة والاندفاع» بعد مسرحية «الاضطراب أوالعاصفة والاندفاع» التى كتبها فردريش كلنجر (١٧٥٢ - ١٨٣١) عرف باسم عصر العبقرية افتتحه بكتابه «المذكرات السقراطية »عام ١٧٥٩، لم يزدهر إلا لفترة قصيرة فى السبعينيات.



مزقنى العذاب أشلاء وهو يمكن أن يغمر أى إنسان آخر، كنت أود فى كل لحظة أن أطرح الإنسانية وجميع الكائنات الحية، وأن أنفخ فى العماء ليلتهم كل شىء، وأن ينقض علىَّ بعدها.

القصة العظيمة « للعاصفة والاندفاع» هى قصة «آلام الشاب ڤرتر» عام ١٧٧٤ـ التى كتبها جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) ـ فالبطل المكتئب الذى مارس الانتحار، الشاب ڤرتر، يكنس بقدمه كل أوروبا المتعلمة!

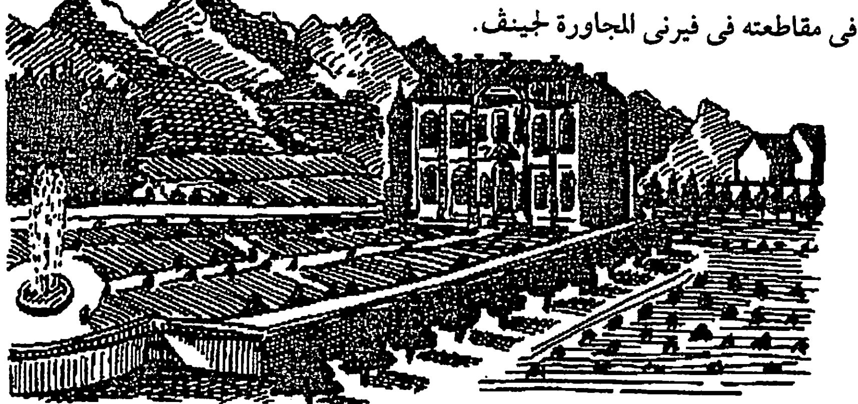


هذه القصة، بل الحركة ككل قد تأثرت بعمق بروسو، فقد احتقر شباب هذه الحركة عقلانية فلاسفة عصر التنوير وتبنوا أخلاق وديانة الطبيعة عند روسو.

وعندما كبر الممثلون «للعاصفة والاندفاع» فى السن، أصبحوا عمالقة الكلاسيكية الألمانية، وأصبح الجيل الأصغر من الكتاب (الذين اشتركوا فى الحلقات نفسها) الرومانسيين الألمان.

ڤولتير فى فيرنى

الاستثمارات المالية الحكيمة لڤولتير ونجاحه ككاتب جعلاه رجلا فاحش الثراء، لقد استقر فى فرنسا مرة أخرى لكن قرب الحدود استعدادا للهرب السهل، فبنى قصرا أنيقًا فى مقاطعته فى فيرنى المجاورة لجينف.



كان ڤولتير ابتداء من عام ١٧٦٠ يعقد جلسات فى قصره، فأصبح موضع حب استطلاع أوروبا، و الأماكن التى لابد من زيارتها فى الرحلة حول عواصم أوروبا التى يقوم بها الشاب المثقف ،ولقد واصل ڤولتير - فى سبيل تغيير المجتمع - قذف الجمهور بالكتب الرخيصة الصغيرة التى تحتوى على خطب لاذعة، وبحوث، ومقالات فى الصحف وتعليقات.



إن عشرين صفحة من المجلدات لا تستطيع أن تحدث ثورة، مع أن الكتب الصغيرة هى التى يخشى منها وهى الكتب التى توضع فى الجيب، الكتب التى يسهل حملها، والتى تباع بثلاثين سو [١] ولو أن الأناجيل كانت قد بيعت بـ ١٢٠٠ سسترس [٢] ما كان يمكن للديانة المسيحية أن تنتشر.

---

(١) السو Sou : عملة فرنسية قديمة ضئيلة القيمة . (المترجم)

(٢) الستسترس Sesterce : عملة رومانية قديمة . (المترجم)

رجل واحد: منظمة عفو دولية

ولقد وصل إلينا حوالى ١٥ مليون كلمة مما كتبه ڤولتير وهى كافيه لعمل عشرين نسخة من الكتاب المقدس، ولقد قيل عن ڤولتير إنه أكثر من أن يكون رجلا من رجالات الأدب؛ فهو من ناحيته يختلف عن مونتسكيو، وديدرو، ورسو الذين اكتفوا بتنوير وإشعال عقول الناس من خلال كتاباتهم فحسب.



عندما علم ڤولتير أن هناك أقنانا يعملون فى مقاطعات قريبة من مقاطعته شن حملة لتحريرهم. على الرغم من حملته المستمرة لصالح حرية التعبير والتسامح الدينى، فإن ڤولتير لم يكن مصلحًا اجتماعيا، لقد تبنى قضايا فردية خاسرة فدافع عن أى فرد يعتقد أنه كان ضحية ظلم، أو بتعصب أعمى دينى أو أحكام مبتسرة. ولقد كتب أحد المعجبين يقول إن موقف ڤولتير يمكن تلخيصه على النحو التالى: «إننى أستهجن ما تقول ولا أوافق عليه، لكنى سوف أدافع حتى الموت عن حقك فى أن تقوله».

لقد تساءل ڤولتير: «ماذا يعنى أن تكون حرا؟ إنه يعنى أن تستدل استدلالا صحيحا، وأن تعرف حقوق الإنسان، وعندما تعرفها جيدا فسوف تدافع عنها».

الرعاع

هناك موضوع واحد تذبذب فيه ڤولتير مثل غيره من فلاسفة التنوير - وهومعالجة الجماهير. لقد قدمت كتابات ديدرو مقتطفات كئيبة عن موضوع الغوغاء كحقيقة من حقائق الحياة، ولن تجد أحدا يواجه - دع عنك أن يواجه المشكلات التى أثارتها النظرية السياسية عن طريق أخطار وفرص «التعليم». كتب ديدرو يقول - فى رسالة إلى صوفى ڤولاند فى ٣٠ أكتوبر عام ١٧٥٩ : « الشعب أحمق جدا فى تصرفاته، غليظ القلب للغاية، بائس للغاية ، مشغول جدا عن أن ينير نفسه». وتحت مادة «الموسوعة» فى الموسوعة ذاتها كان هناك مكان إستراتيجى ليكتب ديدرو مثل هذه الملحوظة:

«الجموع الغفيرة من النوع لم تخلق لتتابع ولا لتعرف مسيرة الروح البشرية.

أكثر من نصف العالم الصالح للسكنى لا يزال تسكنه حيوانات تسير على قدمين تعيش فى ظروف مرعبة تقترب من حالة الطبيعة.. تعيش وتموت عمليا دون أن نعرفها».



ولم يستطع ڤولتير أن يتنبأ بأن هؤلاء «الرعاع» «الغوغاء» - بما تحمله من سخط عميق، وأنصاف المتعلمين، الذين طردهم عام ١٧٦٧ سرعان ما ينسلون طبقة «اللامتسرولون»[1] وهم الجمهوريون المتطرفون فى أثناء الثورة الفرنسية.

(١) اللامتسرولون Sans - Culotles : تعبير استخدم أيام الثورة الفرنسية ليصف أبناء الطبقة الدنيا من الجمهوريين الفرنسيين المتطرفين . (المترجم)

أزمة فى النظام القديم

عندما اعتلى الشاب لويس السادس عشر العرش فى عام ١٧٧٤ كان أول شخص يقوم بتعيينه هو فيلسوف التنوير آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ ـ ١٧٨١)(١) الذى كانت له مهام متميزة فى الخدمة العامة، فقدطوّر تورجو برنامجا للإصلاح الاقتصادى.

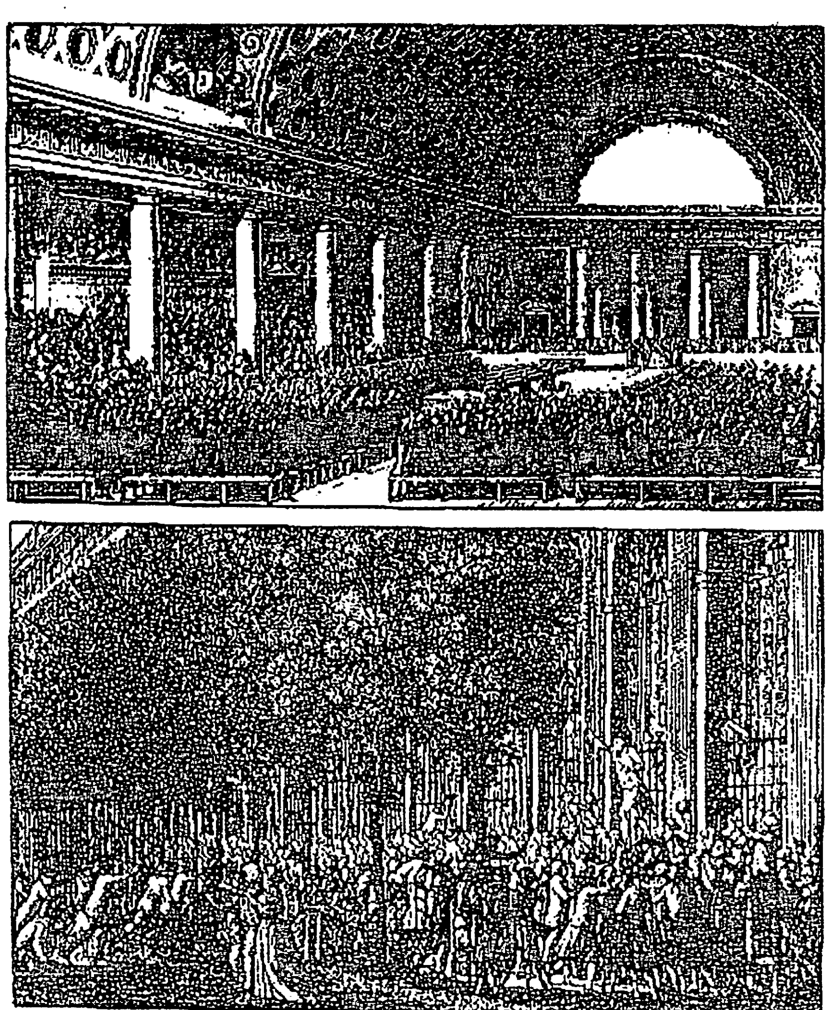


بعد أقل من سنتين أعفى تورجو من منصبه ،وأصيب فلاسفة التنوير بالهلع، ولجأوا بعد نصف قرن إلى النقاش والنقد لتغذية روح الإصلاح، لكن حتى أمثال هذه الشخصيات المحترمة والخبيرة مثل تورجو لم تستطع أن تبقى فى معارضة القوى الرجعية الراسخة، وكما قال ڤولتير «إن إقالة مثل هذا الرجل العظيم: تورجو، صدمتنى، ولم أتابع الأحداث منذ ذلك اليوم المميت أو أسأل أى إنسان عن أى شىء، وانتظرت صابرا من سيأتى ليقطع رقابنا».

(١) آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ ـ ١٧٨١): سياسى وعالم اقتصاد فرنسى ووزير المالية (١٧٧٤ ـ ١٧٦٠) فى عهد الملك لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء مدرسة الفزيوقراط التى دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد، حاول إصلاح الاقتصاد الفرنسى بتشجيع الصناعة وإطلاق حرية التجارة ومقاومة الاحتكارات، وقف ضده الأرستقراطيون فأقاله لويس السادس عشر. (المترجم)

الثورة الفرنسية

فى عام ١٧٨٩ ـ وفى محاولة يائسة لمعالجة الأزمة المالية ـ اضطر لويس السادس عشر إلى استدعاء مجلس طبقات الأمة، وهو مجلس وطنى يمثل ثلاث طبقات فى المجتمع الفرنسى: طبقة رجال الدين، وطبقة النبلاء، وعامة الشعب، ولم يكن هذا المجلس قد اجتمع منذ ١٧٥ سنة. ودارت مناقشات حامية حول كيفية قيام المجلس بمهامه أدت إلى غليان شعبى وفى النهاية إلى قيام الثورة، وقد انشق ممثلو العامة ليشكلوا «الجمعية الوطنية».



وفى ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ هاجمت الحشود الباريسية الغاضبة سجن الباستيل. ومع نهاية شهر أغسطس كانت الامتيازات الإقطاعية التقليدية قد ألغيت وأصبح «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» قانونا، كما أعلن أن الحقوق الطبيعية للإنسان مقدسة ولا يمكن التنازل عنها، ومنها: « الحرية، والملكية، والأمن، ومقاومة الظلم والقهر».



وفى إعلان حقوق الإنسان سجلت المثل العليا لعصر التنوير وقدِّمت إلى العالم، وظلت فرنسا للسنوات العشر القادمة تعانى من العنف الثورى مما اضطرها إلى أن تدافع عن نفسها ضد هجمات بعثة دول أوروبا. وكان اعتلاء نابليون للسلطة عام ١٧٩٩ يعنى أن الثورة، ومعها كل تراث عصر التنوير، قد تعرضت للهجوم والاعتداء.

نهاية عصر التنوير

قلة قليلة من فلاسفة التنوير الذين خلقوا عصر التنوير عاشوا أو رأوا الثورة الفرنسية، غير أن الثورة قام بها شباب أصغر سنا، أما صورتها المتطرفة فقد قام بها قادة من اليعاقبة من أمثال: مكسيمليان روبسبير (١٧٥٨ ـ ١٧٩٤)، ولويس أنطوان دى سان جوست (١٧٦٧ ـ ١٧٩٤)، مهندسا عهد الإرهاب (١٧٩٣ ـ ١٧٩٤) اللذان اعتبرا نفسيهما وكلاء لجان چاك روسو.

فى خطبة له فى مايو ١٧٩٤ شرع روبسبير يأخذ بثأر روسو من فلاسفة التنوير المتكلفين، الذين تكاتفوا لاضطهاده.

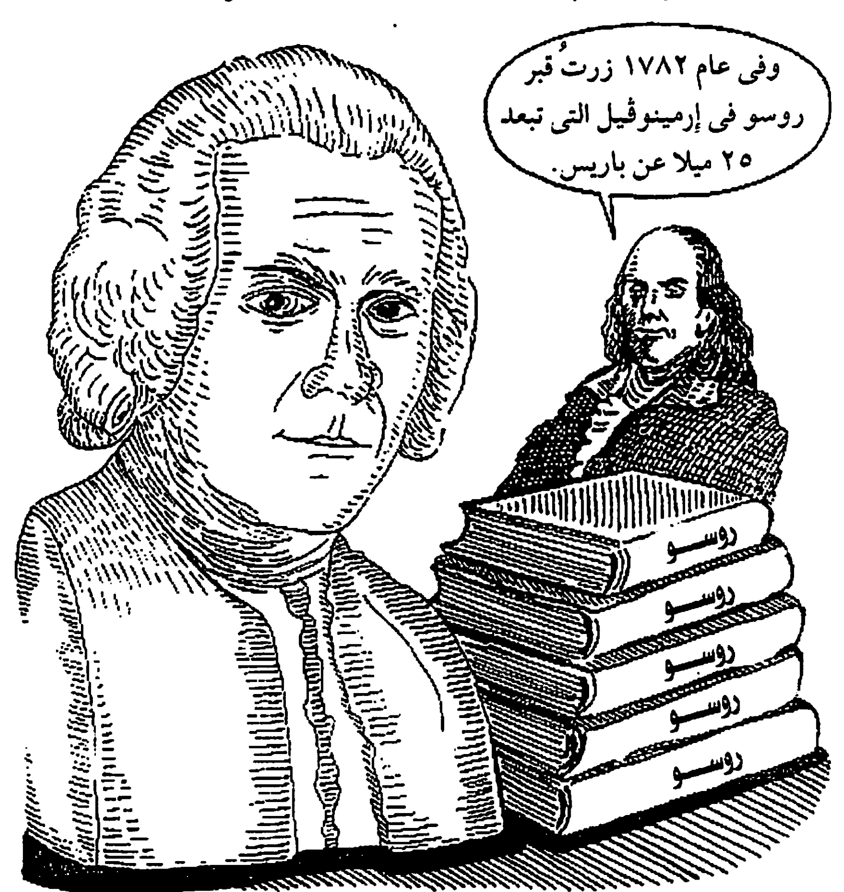


لقد كتب روسو عن الفضيلة بوصفها «العلم الجليل للروح البسيطة» وهو يفتتح كتاب «إميل» بهذه الكلمات: «كل شىء حسن إذا ما ترك كما صنعته يد الخالق، وكل شىء تفسده يد الإنسان».

(١) سان جوست (١٧٦٧ ـ ١٧٩٤) : أحد قادة الثورة الفرنسية كتب ـ دعما للثورة ـ كتابه: «روح الثورة ودستور فرنسا» عام ١٧٩١ ،كان عضوا فى «لجنة الأمن العام» (١٧٩٣ ـ ١٧٩٤) وصديقا حميما لروبسبير، قبض عليه معه وأعدما بالجيولوثين ـ المقصلة. (المترجم)

تأليه چان چاك

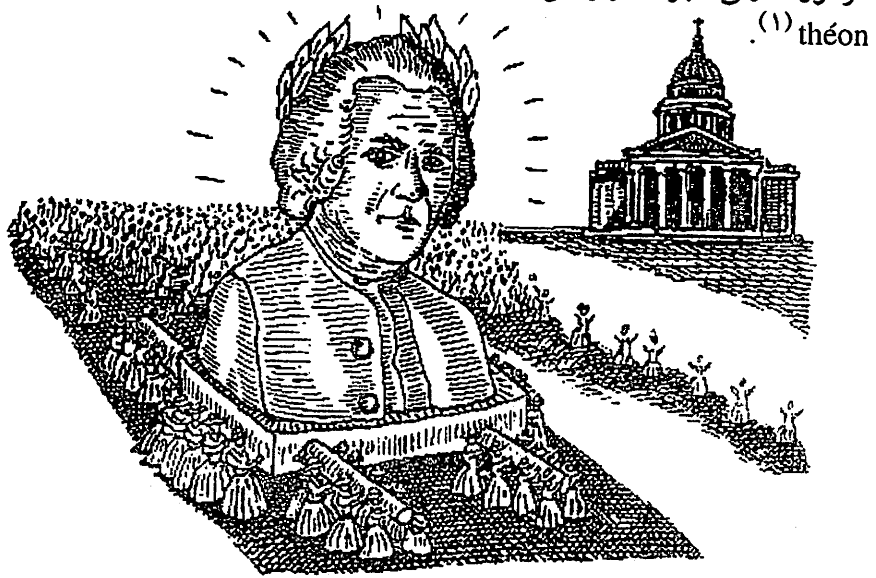
بعد وفاة روسو ـ عام ١٧٧٨ ـ بقليلٍ سرعان ما اكتسب روسو هالة الخلود وهو الذى كان يتحاشاه الكثيرون إبان حياته؛ وتمّ تشييد تمثال له فى جنيف، وفى عام ١٧٨١ جمعت مجموعة من الألحان التى كتبها روسو وأهدتها أرملته إلى ملجأ اللقطاء، وكان من بين المشاركين فى الاكتتاب الملكة مارى أنطوانيت وبنيامين فرانكلين.



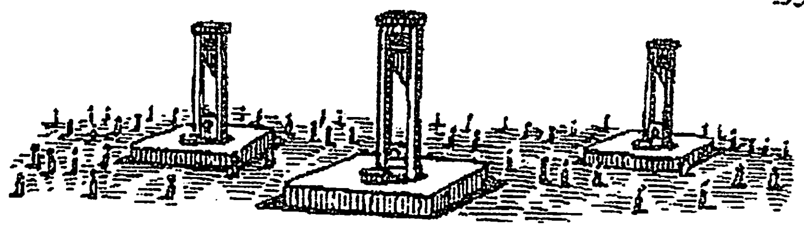
إيمان روسو بجنون العظمة واعتقاده فى الاضطهاد أثار حفيظة فلاسفة التنوير الغيورين . هذا الشعور جعل العديد من الكتاب يشعرون بالاغتراب ويعتقدون أنهم لم يقدروا من الهيئات الأدبية الباريسية ولقد أصبح روسو إلها عند أنصاف المتعلمين، وعلى وجه التحديد عند روبسبير وغيره من المتطرفين الراديكاليين. كان روسو إبان حياته هائما على وجهه، يعامل معاملة سيئة، يتجنبه الناس، ثم أصبح فجأة نبيهم وسلواهم.

الجمهورية المثالية

بعد مرور عام على سقوط الباستيل - وفى أثناء الاحتفال بعيد ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ - حُمل تمثال نصفى لچان چاك روسو متوجًا بالغار، فى استعراض فى شوارع باريس تحمله وترعاه ٦٠٠ فتاة بالفساتين البيضاء وفرق من رجال الحرس أسلحتهم أكاليل من الزهور... وفى شهر أكتوبر نقل رفاته من إرمنوڤيل لكى يدشن فى «البانثيون».. Panthéon[(١)].



امتزج العمل السياسى بالنقاش العام فى عملية، على الرغم من أن فلاسفة التنوير لم يتنبأوا بها فإنها كانت من إلهامهم، إلا أن الحرب تهددت الثورة من الخارج، كما تهددتها من الداخل مطالب الفقراء الغاضبة. وسرعان ما أصبح كل مبدأ خاضعا للبقاء القومى، وأدخلت الجمهورية مبدأ حق الانتخاب الديمقراطى، ففرضت ضوابط ثمينة على اهتمامات الفقراء؛ خاصة فى المدن، وأطلقت العنان لعهد الإرهاب ضد «أعداء الجمهورية».



(١) ضريح خاص بعظماء الأمة فى باريس. (المترجم)

على الرغم من تطرف تحليلاته الفلسفية؛ فإن روسو كان أى شيء إلا أن يكون ناشطا سياسيا؛ فقد كان يخشى الاضطرابات السياسية التى تنبأ بها، لقد رأى روبسبير وسان جوست اللذان اعتقدا أنهما مخلصان لروسو أن فرنسا الثورة هى تجسيد للمدنية المثالية المكافحة فى أحلام روسو ، ولقد أصبحت الجمهورية المكافحة بالفعل موضع المجتمع الأخلاقى الجديد.



فى الفترة من أبريل إلى يونيو عام ١٧٩٤ كانت المحكمة الثورية قد أدانت ١٤٠٠ من الشعب وحكمت عليهم بالإعدام عن طريق الجيلوتين (المقصلة).

مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا..؟

مبادئ عصر التنوير فى النظام والتقدم والثقة فى إمكان التحكم فى الطبيعة والتاريخ، والثقة فى الحس المشترك والطبيعة البشرية العامة يمكن أن يوضع على نحو يخلق تضليلاً فخورا حقا بل حتى خطرا. لقد رسم القرن التاسع عشر صورة كاريكاتورية لقضية المذهب الرومانسى والثورة، لقد شهد عصرنا ـ عصر ما بعد الحداثة ـ انهيار «الحكايات العظيمة» ـ حسب ما تقول الكلمات الشهيرة لجان فرانسوا ليوتارد ـ التى دفنت المبادئ المكتسحة، هل انتهى مشروع عصر التنوير أم ليس بعد؟!

لقد مرت الثورة الفرنسية بتجارب عبر أوروبا بوصفها أعمق وأعظم أزمة عقلية وروحية، لقد حل صراع وانقسام محل الإحساس بالغرض المشترك الذى كان يتميز به مثقفو عصر التنوير، لقد كانت لحظة القطيعة روحية (ومنسجمة) فى المذهب الرومانسى (وفى فلسفة هيجل) لقد ناصر القرن التاسع عشر «الحكايات العظيمة» بمحاولاته إعادة خلق متصل للتقدم التدريجى، فى النماذج العلمية الجديدة للمذهب الوضعى، والمذهب الاشتراكى، والمذهب التطورى التى اعتقد حقا أنها «حديثة».

لقد عرّف رجالات عصر التنوير أنفسهم بأنهم «محدثون» وكانوا أول مَنْ اكتشف بالتفصيل ماذا يعنى ذلك ، لقد كانت حداثتهم ساذجة فيها براءة الطفولة، ومن ثورة ١٧٨٩ إلى الثورات البيضاء عام ١٩٨٩ ـ عبر قرون الاستغلال والغزو الاستعمارى ـ ظلت الحداثة متشابكة على نحو مؤلم بالدم والرعب، فلا عجب أن حاول المثقفون فى العقود الحديثة إعادة خلق الإحساس بالبراءة والمزاح بأن أطلقوا على أنفسهم اسم: «ما بعد الحداثة»..

«عصرنا ليس عصر استنارة، بل عصر المذهب الأصولى، والخرافة والكلية، كما أن الخوف ـ فيما يبدو ـ قد اكتسب أرضا، لكننا مازلنا جميعا أبناء لعصر التنوير، وربما كان موقفنا أكثر تعقيدا ومصادرنا العقلية أشد نقاءً لكننا نواجه أزمات ربما كانت مألوفة لشخص مثل ديدرو، أو شخص مثل ڤولتير أو روسو، ولكن أن يكون ديدرو وحده ومعه الآخرون على يقين من أن المرء يمكن أن يجرؤ على مواجهة الأسئلة والاعتماد على قدرات المرء على التأمل والتفكير، وأن يكون على استعداد لإعادة التفكير فى كل شيء.

Educational, Basingstoke 1990). Dena Goodman's *The Republic of Letters* (Cornell UP, Ithaca & London 1994) gives a cultural history of the French Enlightenment.

سيرذاتية

Diderot has two prize-winning biographies: by A.M. Wilson (Oxford UP, New York 1972) and P.N. Furbank (Secker & Warburg, London 1992). There are shorter biographies by Peter France (Oxford UP, Oxford 1983) and Otis Fellows (G.K. Hall, Boston, Mass. 1977); and a selection of Diderot's *Letters to Sophie Volland*, trans. Peter France (Oxford UP, Oxford 1972).

Gustave Lanson's *Voltaire* (1906) was reissued with an introduction by Peter Gay (John Wiley, New York & London 1966). A new short biography is H.T. Mason's *Voltaire, A Biography* (Granada, London 1981). Nancy Mitford's *Voltaire in Love* (Hamish Hamilton, London 1957) is a good way to get to know Voltaire's fascinating lover, Mme du Châtelet.

The best biography of Rousseau is by Maurice Cranston, in 3 vols.: *Jean-Jacques; Noble Savage; The Solitary Self* (Allen Lane, London 1987, 1991, 1997 respectively). Mark Hulliung's *Autocritique of the Enlightenment: Rousseau and the Philosophes* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1994) is a brilliant study. *Rousseau* by Robert Wokler (Oxford UP, Oxford 1995) is also excellent. The essay on Rousseau in Paul Johnson's book *Intellectuals* (Weidenfeld & Nicholson, London 1988) is worth reading.

Montesquieu: a Critical Biography by R. Shackleton (Oxford UP, Oxford 1969) remains a classic. *D'Holbach's Circle: an Enlightenment in Paris* (Princeton UP 1977) shows the group that supported the most radical atheist of the age.

The Life of David Hume by E.C. Mossner (Clarendon Press, Oxford 1980) is the standard biography. *Wealth and Virtue: the Shaping of Classical Political Economy in the Scottish Enlightenment*, ed. M. Ignatieff & I. Hont (Cambridge UP, Cambridge 1983) surveys the Scottish Enlightenment. Michael Ignatieff's *The Needs of Strangers* (Chatto & Windus, London 1984) has fascinating chapters on Hume and Boswell, and on Smith and Rousseau.

تأويل وإعادة تأويل

There is much literature on the sociology of the period. Jürgen Habermas' study of the republic of letters in *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Polity Press, Cambridge 1989) has inspired many commentaries and historical studies of intellectual life in the period. The sociology of intellectual circles is covered in Lewis Coser's *Men of Ideas* (Macmillan, London & The Free Press, New York 1970) and in the more detailed study by Robert Wuthnow, *Communities of Discourse: Ideology and Social Structure in the Reformation, the Enlightenment, and European Socialism* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1989).

Robert Darnton's books on the life of the mind and the circulation of ideas in the Ancien Régime include: *The Business of Enlightenment: a Publishing History of the Encyclopédie 1775–1800* (Belknap, Cambridge, Mass. & London 1979), *The Great Cat Massacre* (Penguin, Harmondsworth 1985), *The Literary Underground of the Old Regime* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London

1982), *Mesmerism and the End of the Enlightenment in France* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1968), and *The Forbidden Best-Sellers of Pre-Revolutionary France* (HarperCollins, London 1996).

A readable history of the French Revolution is Simon Schama's *Citizens: A Chronicle of the French Revolution* (Knopf, New York & Penguin, London 1989). Hannah Arendt's *On Revolution* (Penguin, Harmondsworth 1973) contains brilliant studies of the American and French revolutions from what might be termed an "Enlightenment" perspective.

The Dialectic of Enlightenment (1947) by Theodor Adorno & Max Horkheimer (Herder & Herder, New York 1972 & Allen Lane, London 1973) considers the dark side of the Enlightenment legacy. Max Horkheimer's essay "Some Remarks on Enlightenment" (1947), translated in *Theory, Culture & Society*, vol. 10 (SAGE Publications, London 1993) summarizes what Adorno and Horkheimer saw as "self-defeating" processes of Enlightenment. These themes are reconsidered in Zygmunt Bauman's *Legislators and Interpreters* (Polity Press, Cambridge & Cornell UP, Ithaca 1987) and *Modernity and Ambivalence* (Polity Press, Cambridge 1991). The contemporary legacy of the Enlightenment lies behind *The Philosophical Discourse of Modernity* by Jürgen Habermas (MIT Press, Cambridge, Mass. 1987 & Polity Press, Cambridge 1990). In his essay "What is Enlightenment?" in *The Foucault Reader* (Pantheon, New York 1984 & Penguin, Harmondsworth 1991) Michel Foucault engages with the contemporary relevance of Kant's famous essay.

لقد كانت المسألة المركزية فى الفلسفة والفكر النقدى منذ القرن الثامن عشر هى على الدوام: ما هذا العقل الذى نستخدمه؟ وما نتائجه التاريخية؟ وما حدوده، وما مخاطره»؟

ميشيل فوكو فى مقابلة « «المكان، والمعرفة، والقوة» (عام ١٩٨٢).

المنظر الاجتماعى الألمانى «يورين هابرماس» ربما كان أفصح مَنْ دافع عن الصلة المعاصرة بمشروع عصر التنوير.

«لا يزال لمفكرى عصر التنوير التوقعات المبالغ فيها، التى تقول إن الفنون والعلوم لن تروج فقط للسيطرة على القوى الطبيعية، بل سوف تفهم أبعد من ذلك السيطرة على العالم وعلى الذات، والتقدم الأخلاقى، وعدالة المؤسسات، بل حتى سعادة الموجودات البشرية، ولقد بعثر القرن العشرون هذا التفاؤل... أينبغى علينا أن نتمسك بنوايا عصر التنوير ومقاصده حتى ولو كانت ضعيفة كما هى ـ أم ينبغى علينا أن نعلن أن مشروع الحداثة برمته هو قضية خاسرة؟».

هابرماس «الحداثة فى مواجهة ما بعد الحداثة».
فى «النقد اليسارى الجديد» ٢٢ (شتاء عام ١٩٨١).

عالم الاجتماع المولود فى بولندا زيجمونت بومان هو واحد من كثير من المفكرين المعاصرين الذين حذروا من التسرع فى التوحد مع آمال عصر التنوير وتطلعاته، لقد رأى بومان أن «الحداثة » هى تاريخ طويل لاتجاه فكرى مكافح بين المثقفين عبَّر عن دعواهم عن قدرتهم للتشريع للمجتمع ككل، وبذلك حل المشكلات التى أثارتها الحداثة، (مثل نمو المجتمع المجزأ التجارى والتكنولوجى). لقد رأى بومان البحث عن «حلول » وغطرسة المشرِّعين العقليين على أنها متضمِّنة فى كثير من ألوان الرعب الموجودة فى الحداثة بما فى ذلك القتل الجماعى، وفى رأى بومان أن ما هو إيجابى فى الانتقال إلى «ما بعد الحداثة» هو الاعتراف بأنها تجسد أن علينا أن نتعلم أن نتعايش مع التغير الاجتماعى، ومع المشكلات الاجتماعية ،وأن المثقفين فى استطاعتهم أن يلعبوا دورا أكثر تواضعا لكنه أكثر فائدة كمفسرين لعالمنا المرتبك والمربك.

فى استطاعتنا أن نتصالح وأن نكون أصدقاء مع عصر التنوير، فتأملات ما بعد الحداثة الجذرية أعـادتنا إلى عصر التنوير الذى نسـتطيع أن نتعرف فـيه على الأسس نفسـها التى تجعلنا نفـهم العالم، فهـو ـ كعصرنا ـ عـصر انحلت فيـه ألوان اليقين والاستـقرار طويل الأمـد، إننا نحتـاج إلى نماذجـه، فكما أن مـفكرى عـصر التنويـر احتـاجوا إلى الرومـان المحـببين لديهم مـن أمثـال شيـشـرون وسينكا، وكـمـا أنهم ناضلوا لإعـادة فهم العـالم بمصطلحات دنيـوية فإن رجالاً من أمـثال ديدرو قد خلبهم آخـر المفكرين الوثنيين العظام فى سنوات «اضمحلال الإمبـراطورية الرومانية وسقوطها » وكما لاحظ مـونتسكيو فقد كـان القدمـاء «كتبًا حـية» فـقد عـرفوا التـاريخ، فى حين أن المحـدثين امتلكوا التـاريخ فحسب.

مراجع

Translations of the major works of the Enlightenment are readily available: Diderot's *Rameau's Nephew* and *This is Not a Story* (Oxford UP, Oxford & New York 1993); his *Selected Writings on Art and Literature*; Voltaire's *Letters on England* and *Candide* (Oxford UP, Oxford & New York 1990); Rousseau's *Reveries of a Solitary Walker* and *Discourses*; Montesquieu's *Persian Letters*; Hume's *Selected Essays* (Oxford UP, Oxford & New York 1993). (All Penguin UK/Viking USA except the three OUP titles listed above.)

مختارات

There are many anthologies of Enlightenment writings. My favourite is *The Portable Enlightenment*, ed. I. Kramnick (Penguin/Viking 1995); also *The Age of Enlightenment*, ed. L. Crocker (Macmillan, London 1969); *The Age of Enlightenment*, 2 vols., ed. S. Eliot, B. Stern (Open UP, London 1979); *The Age of Enlightenment*, ed. I. Berlin (Oxford UP, Oxford & New York 1979).

أعمال عامة

Peter Gay's *The Enlightenment, an Interpretation* (1969) is a treat (reissued by W.W. Norton, New York 1996: vol. 1, *The Rise of Modern Paganism*; vol. 2, *The Science of Freedom*). Ernst Cassirer's *The Philosophy of the Enlightenment* (1932) is a highly readable classic (Princeton UP, 1969). Norman Hampson's *The Enlightenment* (Penguin, Harmondsworth 1968) gives a clear insight into changes in scientific, social and political thought. There are still many surprises in Paul Hazard's *The European Mind 1680–1715* and *European Thought in the Eighteenth Century* (both Penguin, Harmondsworth 1968). Insights on recent scholarship are offered by Dorinda Outram, *The Enlightenment* (Cambridge UP,

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩- الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثان	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البريرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريين	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مورين	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروندانى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النثة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارووبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاى	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربوني	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافي	أرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سبهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٤٣ / ٢٠٠٥